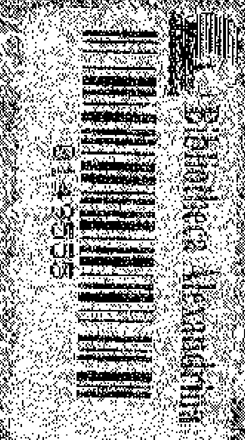
وليم شكسبير

فينوس وأدونيس





كلمة المترجم

ما أنجبت مثل (شيكسبير) حاضرة ... ولا نمت من كريم الطير غنّاء
نالت به وحده (إنكلترا) شرفاً ... مالم تنل بالنجوم الكثر جوزاء
لم تُكشَف النفس لولاه ولا بُليت ... لها سرائر لا تُحصى وأهواء
شِعرٌ من النَّسق الأعلى يؤيِّده ... من جـانب الله إلهامٌ وإيحاء
من كل بيت كآي الله تسكنه ... حقيقة من خيال الشعر غرّاء
وكل معنى كعيسى في محاسنه ... جاءت به من بنات الشعر عذراء
أو قصة ككتاب الدهر جامعةٍ ... كلاهما فيه إضحاك وإبكاء
مهما تُمثَّل تسر الدنيا ممثَّلة ... أو تتل فهي من الانجيلُ أجزاء

(شوقي)

هذا ما قاله في شيكسبير شاعر الإنجليز ، أمير الشعراء ببيانه المعجز كما كان يسميه المرحوم الدكتور محمد صبري السربوني .

ومنذ أمد غير بعيد ، تناقل الناس أنه لئن فقدت إنجلترا إمبراطوريتها

فإنها لاتزال تغزو العالم وتتحكم فى ألباب سكانه بعاملين عملاقين : كرة القدم وشيكسبير .

وهذه القصيدة القصصية « فينوس وأدونيس » دبّجها نظماً شيكسبير العظيم ، رأس شعراء الإنجليز على الإطلاق ، وحكيم من قصّد القصيد . وظهوره فى التاريخ يشهد للأدب الإنجليزى بالأصالة المطلقة . بل إن بعض الناس ليتساءل : هل هو شاعر جميع الأمم ؟ ويؤيلون ذلك بما تفرّد به من روعة الفن وسلامة العبارة ، والقدرة الفائقة على الغوص فى أعماق النفس البشرية ، واستخراج دقائق مكنوناتها .

عُمّد وليم شيكسبير بكنيسة الثالوث المقدس بمدينة استراتفورد أن أفون فى ٢٦ إبريل ١٥٦٤ . أما تاريخ مولده الدقيق فغير معلوم ولكن يفترض أنه الثالث والعشرون من ابريل . ولا يكاد يعرف شئ عن طفولته وشبابه . ولكن المعروف أنه انتظم بمدرسة القرية خمس سنوات درس فيها بعض مبادى القراءة والحساب وطرفاً من اللاتينية وأصيب والد شيكسبير بعسر مالى وهو فى الثانية عشرة من عمره ، وفاضطر إلى الانقطاع عن المدرسة والاشتغال ببعض المهن الصغيرة ومساعدة والده فى بعض أعماله . وتزوج من آن هاثاواى (١٥٨٣) كانت تكبره بثمانى سنوات .

واختلف إلى جامعة إكسفورد فيما يروى ، ثم أصبح عضوا محترفا وكاتبا للمسرحيات بفرقة تمثيل شهيرة . وأخذت مكانته تعلو بلندن كممثل وكاتب مسرحية . وعاد إلى قريته ثريا ميسور الحال فى (١٦١١) وأقام بها حتى مات فى ٢٣ ابريل ١٦١٦ .

ألف شيكسبير ثمانى وثلاثين مسرحية منها المأساة ومنها الكوميديا ومنها التاريخية . أما هذه القصيدة القصصية (١٢٠٠ بيت) فقد اقتبس شيكسبير موضوعها عن شاعر الرومان (أوفيد) الذى كتب عن « فينوس » ربة العشق والحسن والشهوة والجمال ، وأدونيس آية البشرية فى الجمال والشباب .

تلك قصة شعرية تكاد تكون باكورة أعماله الأدبية (١٥٩٣) هى وقصيدة « اغتصاب لوكريس » (١٥٩٤) ورغم ذلك يتجلى فيها منهج شيكسبير الذى انتهجه طوال حياته كلها فى الكتابة الادبية . ويتجلى فيها ولعه الشديد بالتوريات وحبه البالغ للطباق والجناس والنقائض والاضداد ، وعظمة قدرته فى تصوير الشخصيات ، وحبك الحبكات ، والتغلغل فى أطواء النفس ، وتحليل أعماقها ، وخلق الحوار المتقن الذى يصور الشخصية .

وكأن هذا الحوار إرهاص بما سيرتفع إليه فن الحوار عند الشاعر الملهم من سمو معجز فى سائر مسرحياته .

تُجن فينوس بحب أدونيس وتعترض طريقه وتدعوه لنفسها والمتعة بها ، ولكن الفتى لا يهتم بها ولا يأبه بما تسميه الحب ، إذ شغفه الصيد والعفاف . وعبثا تحاول فينوس أن توقعه في أحابيلها مستخدمة كل ألاعيب الأنوثة والإغراء ، وإذا هي تهجم عليه وتضمه إليها وترتمي به على الأرض ، فيتكدر ويثور ويتخلص من عناقها الشبق . ويهبّ إلى جواده فإذا قد أغوته مهرة حسناء وينطلق بعد هذا لصيد العِفر وهو خنزير برّي شرس ، ينطلق رغم مناشدتها إياه وتحذيرها الشديد له من شره وضراوته . وتنتظر فينوس بعض الزمان ثم تخرج للبحث عنه بين الأدغال . وهنا يبدع شيكسبير في شرح ما يمر بها من خلجات نفسية بين آمال ويأس وخيبة وتطلع ، ويمعن تحليلا لما يمر بنفسها من انفعالات متضادة أثناء لحظات الهول والخطر ، وهنيهات الرغبة الجامحة والحبوط القاتل .

وإذا بها تنتهي إلى جثة أدونيس هامدة وقد صرعه العفْر الأثيم . وهنا يعود شيكسبير إلى التحليل والتفصيل ثم تتحول الجثة إلى بخار وتنمو في دمائها زهرة بيضاء ناصعة رُقشت بوشي أحمر قان . فتنتزعها فينوس وتضعها بين ثدييها البديعين ، ثم تركب مركبة أخف من الضياء تحملها اليمامات البيض وتطير بها إلى بافوس منتجع السلام والهدوء الأبدي حيث تقضي بقية أيامها في عزلة حزينة يائسة .

وقد اهتم شيكسبير بهاتين القصيدتين فينوس ولوكريس وأهدى الأولى إلى نبيل مرموق . وأخذ يطبعها كلما نفدت الطبعات حتى إنه طبع فينوس سبع عشرة مرة . وقد أجمع النقاد على توهج ذكاء شيكسبير فى قصيدتنا هذه وقدرته على أن يجعل كل شىء ماثلا أمام القارئ وتصوير العواطف والانفعالات ، وقدرة الرجل على أن يتغلب على غواية المرأة والانثى ، حتى تسامى بنظرته إلى أهداف نبيلة غير الجسد والتلامس والنسل . صراع بين الشهوة والعفاف فيه من الشهوة إسفاف وفيه من العفاف الطهر الخالص .

وقد حاول المترجم ما استطاع أن ينقل بالشعر إلى القارئ العربى شيكسبير كاملا بخلجاته ونبراته وتحليلاته وأدق تفاصيل فكره ، وانتهج فى هذا نهجا عربيا واضحا واختار أن يجعل شعره ملتزما بقواعد العروض الأساسية بحال يربطه تماما إلى الشعر الموزون المنضبط المقفى على شىء من التحرر والتبسيط والتطويع الذى يقتضيه المقام ، ولكنه تحرر لا يصل به إلى حد الشعر الحديث الذى يذهب إليه بعض شعراء هذا الزمان . وأردف الترجمة بشروح تزيد القارئ إيضاحا وتبيانا .

فأرجو أن يحوز جهدى هذا رضا جمهور القراء فى بلاد الضاد التى تحب شيكسبير .

ع . ت . جاويد

٢٠ يناير ١٩٧٨

وللذكرى والتقدير

أقرر أن صدور هذه القصيدة إلى قراء العربية ثم بفضل الشاعر الكبير المرحوم – صلاح عبد الصبور الذى أقر ترجمتها وشجع ، وانتهجت فى نسجها نهجه الذى استنه فى الشعر الدرامى العربى بمسرحيته الجليلة «مأساة الحلاج» بما فيض لها من عبقريته فى نسج القصيد من يسر وسهولة وتحرر وتطويع ، فكان له الشكر حيا ، وله فى الدار الآخرة الثناء والرحمات .

١٤ يوليو ١٩٨٥م	ع . ت . ج

التعريف بالمترجم

ولد المترجم بالقاهرة بحى الخليفة . وأمضى دراسته الابتدائية بمدينة رشيد ، والثانوية بمدرسة الأوقاف الملكية الثانوية (الخديو إسماعيل حاليا) والعليا بكلية المعلمين العليا .

وكان ميالا لدراسة اللغات العربية والإنجليزية والفرنسية . واشتغل بالتدريس بمدارس قليوب وأبشواى ومنوف ومصر الجديدة الثانوية حيث رقى وكيلا لها

شغف بالترجمة فنقل كثيرا من أمهات الكتب الإنجليزية الجليلة منها :

١ ــ هـ . ج . ولز : معالم تاريخ الإنسانية Outline of History

٢ ــ هـ . ج . ولز : موجز تاريخ العالم .

٣ ـ جوستاف فون جرونى باوم : حضارة الإسلام

أو (إسلام العصور الوسطى)

٤ ـ الحضارة البيزنطية .

٥ ـ الحضارة الهللينستية .

٦ ـ ميلاد العصور الوسطى .

٧ ـ مدخل إلى علم النفس الحديث

٨ ـ سلوك الأطفال

٩ ـ الطفل من الخامسة إلى العاشرة

١٠ ـ آسيا والسيطرة الغربية

١١ ـ حضارة إيطاليا فى العصور الوسطى (لبورك هارت)

وغيرها كثير .

وله أيضا : جلوات فى الصقيع ، وهو ديوان شعر لم يطبع .

حاز جائزة الدولة التشجيعية فى الترجمة لعام ١٩٨١ م .

حاز وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى .

فينوس وادونيس
قصة شعرية مترجمة شعرا عن شيكسبير

لليعجب السوق بالخسيس من الأشياء
أما أنا فأتمنى أن يقدم أبوللو الذهبى اللمة
أقداحا مفعمة بماء نبع الكستلى ..
أى من الينبوع الذى ارتشفت منه تواسيعُ الالهامَ .
وما هذه السطور إلا اقتباس من غراميات أوفيد Ovids Amores

إلى فخامة النبيل هنرى ريو ثيسلى
ايرل ساوثها مبتون وبارون تيتشفيلد
يا صاحب الفخـامة
لست أدرى هل عساى أبعث فى فخامتك من الكدر بإهدائى

إلى فخامتك هذه السطور غير الطلية ، وكم عسى أن أجد من الناس من لائمة باختياري مثل هذا العضد المكين عونا لي على حمل مثل هذا العبء المهين .

ولن أعد نفسي أهلا لكل فخار ، حتى يتجلى لي أنكم تقبلتم عملي بشئ من السرور . وأعاهدكم بأن أنتهز كل ساعة فراغ نفقها في إعداد عمل أكثر جدية ووقاراً .

فإن أظهرت الأيام أن بكر إبداعي شائه الخلق ، فلشد ما سآسف على أن له شبيبنا على مثل نبلك . ولن أعاود بعد اليوم الإقدام على حرث أرض أوتيت مثل هذا المحل ، خشية أن تعود فتثمر لي ثمراً على نفس الضرب الرديء الغث ، وإني لأستودعه كريم تقديركم ورضاكم القلبي عنه الذي أتمنى أن يتجاوب دواماً مع رغباتكم وتوقعات العالم المفعمه بالآمال :

خادمكم في كل آن وواجب

وليم شيكسبير

فينوس وأدونيس
VENUS AND ADONIS

١ بينما الشمس بطلعتها بلون الأرجوان
لم تكد تستأذن الصبح البكي * وقد أبان ،
قام أدونيس يعاجل مثلها الصيد وورد الخدقان ،
قد أحب الصيد ، أما الحب فهو لديه مرذول مهان ،
هاجلته فينوس والهة الجوارح تقتبل .
ثم راحت مثل مختطب صفيق تستبيه بالغزل .

٢ حيث بدأت : « ويح قلبي من جميل بزّني الحسن باضعاف
ثلاثا لا تهون
يا أميراً للزهور ، يا جميلا دونه كل قرين ،
حسنه يكسف كل الحور كسفا ، بز كل الإنس حسنا
مستهيما .

(*) هذه العلامة تشير الى الملاحظات والشروح الواردة في آخر الكتاب .

يا بياضا واحمرار أفـاق ورداً أو بماما .
يوم صنعتك الطبيعـة فتخطت* نفسها جهداً وكدا ،
قالت : الدنيا تكون لها النهاية مع حياتك حين تبلغ ثم حدا ؛

٣ « فتلطف أيها العجب العجاب ! وترجل عن جوادك ،
ثم أوثق* رأسه المختال فى قربوس سرجك ،
إن تكرمت بهذا الفضل ، تستوف ثوابك ،
تتعلم ألف سر من رحيق لشهـد قـد عمـرت وطابـك* ،
ها هنا فاجلس سعيدا حيث لا ثعبان يسعى ، لا يفح ،
ولا يطل ،
أنت إما تتخذ عندى مقـاما أكتم الأنفاس منك بالقبل ، »

٤ « رغم ذلك لا تدع شفتيك تكتظان بالشبع البغيض ،
جوّع الشفتين مهما عشت فى رغد عريض ،
ثم صبغ* بالشحوب والاحمرار ، بكل أنواع التغير ،
عشر قبلات قصار كوحيدة ... قبلة طالت كعشرين سعيدة
او تقـدر
إن يوم الصيف يبدو ساعة بل أخصرا ،
إن قضيناه بلعب مثل هذا ، فيه تلهية الزمان إذا جرى ! ! »

٥ عند ذلك أمسكت يدها بكف قد تفصد بالعرق* ،

تلك بادرة تُجلّي طاقة أو حيوية إذ تنطلق .
فاعترتها رعدة من شغف قد لقيته بلمسها ،
فمليك الأرض يحبو ربة من فضله متكرماً ،
فاستشاطت رغبة عارمة قد أورثتها في الهوى صلب المراس ،
نزعته شجاعة* عن سرجه وبكل بأس .

٦ في ذراع فجأة وضعت عناناً لجواد بالفراهة مفعم ،
بينما الأخرى تشد على الغلام الناعم ،
وهو يحمرّ ويعبس في ازدراء فاتر أو قل بليد ،
وهو منصرف ثقيل الحس .. لا يرضى الدعابة ، .... لا يريد ،
وهي حمراء تلظى مثل جمرات لنار موقدة ؛
وهو محمر بخجل ، بينما الرغبة منه قرة[1] متجمدة

٧ باللجام مزركشا في نماذج خشن اللحاء من الفروع ،
عجّلت شد الوثاق رشاقة : — وي ! ما أخف الحب كالبرق
السريع !
يُعقل الفرس الجواد وعاجلا بأقل حين
كي تغل الراكب الفرد تجرب ثمّ في عزم مكين :
للوراء دفعته مثلما قد تشتهي أن تدفعا ،
غلبته قوةً ، ما غلبته شبقاً ممتعا .

(١) قرة : بفتح القاف اى ان رغبته باردة ، وان احمر خجلا .

٨ وسريعا ما ارتمت فى جنبه وهو على الغبراء ملقى راقد
وكلا الطرفين متكئٌ على حقو [١] وكوع يسند
وهى آنا قد تربت خده ودا ، وآنا هو فى ضجر عبوس
شارع فى لومها ، .. لكن سريعا تكتم الشفتين فى وله يئوس
إذ تقبله محدثة بلغة الشهوة المتقطعة* :
« إن تحدثت بلوم لى فلن تنبس شفتاك* ببنت [٢] موجعه . »

٩ وهو يتلظى بعار لا يريم ؛ . . وهى بالدمع الهتون
تطفئ الحرق العذارى فى أديم الوجنتين ،
ثم بالزفرات عاصفة وبالشَّعر الذهب ،
تجعل الأنفاس والخصلات مروحة تجفف عن كثب ،
وهو ينسبها لقلة الاحتشام ، منكرا فعلتها ،
ما تبقى بعد ذا تقتله قبلتها .

١٠ مثل نسر جائع ، هاجت شهيته على طول الصيام ،
بالضراوة أعمل المنقار فى ريش ، ولحم ، وعظام ،
بجناحيه يرف ، وهو يلهم كل شئ فى عجل ،
بين حشو اللهاة وبين إفناء وقضم للفريسة لم يطل ،
مثله هى تمطر القبلات فى العينين ، فى الخدين ، فى الذقن
العنيــد ،

---

(١) حقو : الخصر وما دونه .
(٢) بنت شفة موجعة : ببنت شفة (اى كلمة مؤلمة) .

كلما فرغت فسيرتها تعاود من جديد .

١١ وهو مضطر لأن يقنع* ، لكن مطلقا هو لن يطيع ،
لاهثا يرقد ، لكن مرسلا أنفاسه فى وجهها غير سريع ،
وهى تتغذى على الأنفاس تغذية الكواسر بالفرائس ،
وهى تنشقها بخارا قدسيا ؛ .. فهى تسمى من عطاء ونفائس
تتمنى لو يصير الخد بستان زهور نا ضرة ،
طالما هو يتندى بندى زفراته المستقطرة .

١٢ فتأمل كيف يرقد طائر متورطا فى شبكه ،
هكذا يرقد أدونى [1] بين أحضان ذراعيها أسير معركه .
قد دعاه خالص العار وذود* [2] هائب أصناه أن يتكدرا ،
وهو أمر زاد عينيه المحنقتين حسنا باهراً .
إن همى القطر إلى نهر ملئ الصدر صاف .
فهو قهراً سوف يضطر إلى غمر الضفاف .

١٣ وهى تفتأ تتوسل ، .. فى جمال تتوسل ، ...
فإلى الأذن الجميلة لحنت قصتها دون تمهل ؟

---

(١) أدونى : المقصود به هو : أدونيس .

(٢) وذود هائب : أى مقاومة يداخلها الهيبة .

وهو لا يفتأ ينفر ، وهو لا يفتأ يعبس ، يتكدر ،
بين خجل قرمزى أو شحوب شاحب من متضجر
فإذا احمر تعاطيه أعز الحب ،.. أما إن شحب ،
فالأعز من الأعز مع المزيد من ابتهاج وطرب .

١٤ فليكن مظهره ما قد يكون – هى لا تملك إلا أن تميل ،
وهى تألو بيد فاتنة (خالدة) ، إذ ليس للموت عليها
من سبيل
لن تغادر صدره الغض النبيل ،
أو يهادن دمع عينيها الذى يعترك ، فى لطف جميل ،
التى قد أمطرت مطراً غزيرا ، بلل الخد الأسيل
قبلة واحدة شهدية فى ذلك الدين الثقيل .

١٥ عند هذا الوعد يرفع ذقنه متوسما ،
فهو يعرض أن يعاطى ثغرها ما يشتهى مستسلما ،
مثل طير الماء يبظر من خلال الموجة ،
فإذا راءه رآه غاص فورا فى صميم اللجة ،
فإذا هامت (١) مراشفها تقاضى ما سيدفع من ثمن ،
اغمض الأجفان عنها معرضا بالشفتين والأذن .

١٦ قط. ما كان المسافر فى هجير الصيف سائر

(١) هامت : اى هيأت شفتيها لتتقاضى .

ـ ظامئا ـ أظمأ منها نحو عطف من مفاتنه* السواحر ،
تبصر الغوث بعينيها فتحرمها من الغوث المقادر ،
وتخوض الماء سبحا ولهيب القلب ساعر ،
وهى تصرخ « ويح نفسى ! يا غلاما قلبه الصخرى جلمود
المحاجر ! »
« إنما هى قبلة واحدة أسألها لم أنت من خجل تكابر ؟! »

١٧ « إننى غوزلت قبلا مثلما أستعطف الآن وأكثر ،
نفس رب الحرب والبأس الشديد الصارم البطش المدمر ،
الذى لم يحن عنقا أغليا فيما أدار من العرام ،
والذى يقهر حيث يحل من ساح الصدام ،
صار مع هذا أسيرى ، ـ صار عبدى ،
كان يسأل نيل ما تعطاه من غير تكدى * (١) .. »

١٨ « هيكلى المرموق قد علق حربته عليه تبهر ،
ودرعه المرضوض علق جنب خوذته التى لا تقهر ،
وهو من أحلى تعلم كيف يرقص ، كيف يداعب ،
كيف يرتع ، .. كيف يمجن ، .. كيف يبسم ، كيف
يمزج ، .. كيف يلعب »
ساخرا مما له من طبلة الحرب الغليظة مع قانى شارته (٢) ،

(١) التكدى : الإلحاح فى المسألة .
(٢) قانى شارته : هنا إشارة إلى لون الأرجوان القانى الذى هو شارة الملكية .

جاعلا زندی حومته وفرشی خیمته ! ؟ !! »

١٩ « هكذا من ساد جبارا بسلطانی قهرته
وأسيرا عانيا ورهين سلسلة بلون الورد قدته
فالشديد من الحديد الصلب فُلَّ ، فعزمه الأقوى العفىّ
هنا أطـاع
مع هذا كان مرقوقا ذليلا لازدرائی فی دلال وامتناع
ويلتی ! ... لا تتكبر ، .. لا تفاخر قط بالعزم الشديد ،
كی تغالب من أذلّت سيدّ الحرب العنيد ! »

٢٠ « ما عليكا لو تلامس شفتيا شفتاك الحلوتـان
ربما لم تبلغا شأوهما حسناً ، ولكن ها هما ياقوتتان
قبلتی ستكون ملكك مثلما هی لی أنا
ما ترى فی الأرض ؟ فارفع رأسك انظر لی أنا .... !
فتأمل مقلتیّ إذ هما لك موئل لجمالك الزاهی المبين !
لم ليست الشفتان فی الشفتين والعينان فی العينين ؟ ! »

٢١ « أنت تخجل أن تقبل ؟ من جديد أغمض العين قليلا ، ...
سوف أغمضها كذلك كی يصير الصبح ليلا ،
يحفظ الحب ملذته إذا لم يلق غير اثنين ودا ؟
كن جريئا ! واغنم اللعبة لن تبصرنا عين تعدّی*(١) ،

(١) تعدى : أی تتعدی علينا بالنظر .

تلك زهرات البنفسج ذى العروق الزرق سمناها كمتكأ
ومرقـد ،
لن تثرثر ، لـن تبوح بسرنا كلا ولن تجهل ماذا نحن
نقصـد . »

٢٢ «والربيع الغض* فى شفتيك مغريتين فاقا
كاشفا قلة نضج فيك لكن ليس يمنع ذاك منها أن تذاقا :
لا تضع وقتك واعجل ! ... واغتنم أقرب فرصة ! . . .
فالجمال الغض مما ينبغى ألا تضيّع منه حصة :
فالزهور النضر إن لم تجن فى ريعانها
تتعفن ثم تبلى فى أقل أوانها . »

٢٣ «إننى لو كنت شوهاء مغضنة عجوزا حيزبونا ،
فظة الطبع شموسا ، ذات صوت منكر فاق الأتانا [1] ،
أو مهدمة محقرة لها جسد رثّ* بارد ،
كلة العين ، وقاحلة وهزلاء ، ويعوزها الرحيق المسعد ،
عندذلك كان يمكنك التوقف ، .. حيث لم أخلق إذن من أجلكا ،
غير إلى حرة من كل عيب ! . لم تمقتنى ؟ بماذا رمت
أن تتمسكا ؟ »

(١) الأتان : الحمارة .

٢٤ «لن ترى تخديدة واحدة فوق الجبين ،
ولحاظي الشهب* نجلاء كعين الرئم* ترنو مترعات
بالفتون ،

وجمالي كالربيع النضر ينمو كل عام ويفور ،
إن جسمي هو غض وسمين ونخاعي يتلظى ويثور ؛
لو يدى الملساء والرخصة* عرقا قط لمستها يداكا ،
لامتد يبت ثم في الراحة* أوكادت تذوب بما تعاني من هواكا »

٢٥ «لو أذنت ، نظمت كلماتي ، أسحر بغنائي مسمعك
أو كفيري* Fairy سوف أخطو فوق يانع خضرة الروض
معك ،

أو كحوراء ، طويلا قد تشعث شعرها أو قد غزر ،
حين أرقص فوق سطح الرمل لكن لست أترك فوقه أدنى أثر
فالهوى روح تأصل من سعير*
ليس ثقلا فيغوص ، بل خفيف وإلى أعلى يحلق ويطير . »

٢٦ « شهد حوض من زهور الورد قد ملت عليه ثم أرقد ،
أن ذى الزهرات واهنة لكالشجرات باسقة لتدعمني وتسند
رب جنح بماستين ضعيفتين أشالني كبدالسماء ،
حيثما شئت مضى بي وعلى متنه أمرح من صباح للمساء ،
هل ترى الحب زهيدا هكذا ، يا أيها الولد الجميل ؟
كي تراه مرهقا وكأنه العبء الثقيل ؟ !»

٢٧ «هل ترى يولع بمحياك فؤادك ؟
«هل ترى تستطيع أن تحتال يمناك على الحب فتودعه شمالك ؟
غازل النفس إذن ! ... وبنفسك أرفض نفسكا
واسترق حرية النفس ، وبادر فاشلك من سرقتكا ! !
إن ناركيسوس* أبصر نفسه والنفس حسان ،
ثم أودى لاثما لخياله وسط الغدير على المكان ! . .»

٢٨ «والمشاعل ثم تصنع كي تضئ والجواهر كي تقلد* (١)
والملذات تذاق والجمال النضر كي يهوى ويعبد ،
والأعاشيب لرياها* (٢) والنبات الغض كي يجنى ويحمل
ما نما من أجل نفسه فهو عار للنماء ليس يَجْمُل ،
والبذور نابتات من بذور والجمال للجمال يولَّدُ
قد حصلت على وجودك ؛ إن إيجاد الوجود واجب الكخالد»

٢٩ «فلماذا تُطعم النفس بثمر الأرض حرا ؟
بينما لم تَطعَم الأرض بأثمار التكاثر منك طرا ؟
فبناموس الطبيعة مجبر أن تتكاثر ،
كي يعيش ذووك بعدك عندما تفنى حياتك وتغادر ،
وبذا رغما من الموت ستبقى غير داثر ،
حيث حيا سوف يبقى شبيهك بعدُ حاضر . »

(١) تقلد اى : تلبس .
(٢) لرياها : اعطى عطرها وشذاها .

٣٠ عند هذا شرعت الملكة – برّحها هيام الحب – تعرق ،
إذ تزحزح عنهما حيث اسبطرا نازح الظل فأطبق ،
وجه تيتانٌ [١] مطلا فى هجير الظهر مرهق ،
وبعين تتلظى أجج من فوقهما وأطل كسعير معلّق ،
يتمنى لأدونى أن تكون له الدرارى ثم يقتاد رعيله ، ...
كى يكون مثيله وبجذب فينوس الجميلة .

٣١ عندها راح أدونيس بروح متكامل ،
وبعين البغض قاتمة التثاقل
وحواجب مكفهرات تدلت فوق مقلته الجميلة ،
مثل أبخرة الضباب وقد علت وجه السما منها غلالة ،
مررت خدّيه ، وهو يصيح «ويلى ! ... لامزيد من الغرام ! ...
إن شمس الظهر تحرق وجنتىّ ، فلا مقام .. »

٣٢ «ويح نفسى !» تلك فينوس تقول «أصغير ثم تقسو وتضير؟ !
أى عذر تافه تنشده كيما تسير ؟
سوف أزفر زفرة قدسية كى تبعث الريح الرقيق .
ليبرد من حرارة هذه شمس الحريق :
وسأرخى فوق رأسك ظُلّةً : هذى الشعور ....

---

(١) تيتان : إله الشمس .

فإذا احترقت كذلك فسأطفئها بما أسفح من دمع
غزير !!... »

٣٣ « إذ تضئ الشمس لا تعطى سوى دفء يفيض من السماء ،
انظر الآن تجدنى بين شخصك وذكاء* [1] :
والحرارة من هنا لك – هى برد وسلام – إن أتتنى ،
ولحاظك حين ترمى تقذف النار التى قد أحرقتنى
اننى لو لم أكن خالدة (لافانيه) ،.. لانتهت منى حياتى ، انتهت
فى ثانيه .
بين هذى الشمس شمس الأرض وشمس السماء العاليه . »

٣٤ « هل عنيد أنت ؟ صوان وصلد القلب كالفولاذ حرا* ؟ !
ويك كلا أنت أصلب من بلنط* [2] !..(لو يمس القطر [3]
صخرا ، لان فورا :
هل تكون ابنا لأنثى ثم لا تملك حسا ذا وجيب ؟
لمعانى الحب ، إذ إعوازه نار عذاب
هل ترى ولدتك أمك حاملا عقلا عنيدا ؟
إنها لما تلدك ، .. حيث ماتت فظة* قد أوتيت طبعا
شديداً !!.... »

٣٥ « ما أنا حتى تعرضنى كذا للامتهان المبتذل ؟

(١) ذكاء هى : الشمس .
(٢) بلنط : حجر شديد الصلابة .
(٣) القطر : المطر .

اى خطر داهم يكمن فيما رحت أبذل من غزل ؟
أى سوء سوف يلحق مرشفيك بقبلة مسكينة بين القبل ؟!
قل جميلا ،.. قل جميلا ! — .. أو فخذ
من فضل صمتك ماجمل
أعطنيها قبلة واحدة ،... إن لها فى الحال رجعى ،..
ثم أخرى هى ربح إن ترد تأخذ شفعا* !.. »

٣٦ « ألكتب ! . صورة ميتة ، .. ياحجرا متبلدا حُرم
الحواس مع الحياة !..
أيها الصنم المرقش ، أيها الوثن المبلد والموات !..
أيها التمثال لا يرضى سوى العين فحسب . .
أنت شئ مثل رجل لست نسلا قط لامرأة تدب
فالحقيقة لست رجلا ، إن شرفت بطلعته ،
يلثم الرجل النساء بكل حُر إرادته . »

٣٧ ما انتهت من قولها حتى تغلب نافد الصبر على ذرب اللسان
يستدر الغضب الفياض صمتا : هدأة تعيى البيان[1]
فالخدود الحمر والأحداق فى نار تعالن ما بها من لذع ظلم وألم
ليس تملك فى قضيتها رشادا وهى فى شتى شئون الحب قاضٍ
وحكم

(١) تعيى البيان : تعجز اللسان .

وهى طورا ترسل الدمع وطورا تشتهى لو تتكلم
ثم أحيانا قضيبها على الدمع تحطم

٣٨ وهى أحيانا تحرك رأسها أو قد تهزله يدا كالمتظنى*
وهى ترمقه بعين تارة وبتربة الأرض تثنى [1]
ثم أحيانا تطوقه ذراعاها وثاقاو رباطا
تتمنى ، - وهو يأبى ، - أن يكون فى ذراعيها محوطا
فإذا كافح ، ثمة يبتغى منها خلاصا
واحدا فى واحد قد أطبقت زنبق أنملها فلم يجد المناصا*

٣٩ «أيها الأحمق !» قالت : «منذ أن طوقت شخصك هاهنا ..!
فى إطار مستدير من نطاق العاج* حاطك معنا ،..
اننى سأكون بستانا ، سأجعل منك فيه غزالى، ..
فيه تطعم حيث شئت بين واد أو جبال ، ..
ترتعى ما بين شفتى ، فان نال الجفاف من التلال
فتحول هابطا بين الوهاد ، فالينابيع هناك حوت من
الماء الزلال . »

٤٠ « إن فى هذا النطاق لما يفى ماتبتغيه من ارتياح* ،
كلأ حلو لدى القاع وسهل منجد فيه انبساط ومراح ،
وتلال* عاليات مستديرة ، .. وغياض مجاهل متكاثفه ،

(١) تثنى : اى تنظر إليه أولا ثم تثنى بالنظر إلى الأرض .

وهى تؤويك من الأمطار ، من شر الرياح العاصفه ،
عند ذلك كن غزالى ، حيث إلى ذلك البستان .
إن كلبا لن يهيجك من مكانك وإن استنبحت ألفا فى مكان . !

٤١ عند ذاك افترّ أدونيس ابتساما مثل من هو فى استياء ،
فبدت غمازة فى كل خدّ ذات حسن وبهاء ،
أبدع الحب بسبك النقرتين فإذا ما ذبحوه ،
جاز فى قبر بسيط مثل ذا أن يدفنوه ،
ملد درى لو أرقدوه ها هنا - شمأن الرفات ، -
فهناك الحب يحيا وهنالك ليس يمكن أن يموت ؟

٤٢ أين من كهفيه شىء ! ؟ أى حسن فاتن فى النقرتين ! !
ها هما ثغران راحا يفتحان - لالتهام هيام فينس - شفتين
مسبقا جنت نُهاها ، أين منها الان من عقل رشيد؟ .
مسبقا ضربت فصرعت ، أى إعواز إلى ضرب جديد ! ؟
ملكة الحب الحزينة نؤت بالأشحان فى أكناف شرعتك النبيلة
إذ تحبين خدودا باسمات بازدراء نحو شخصك يا جميلة !

٤٣ أى درب ستجوز الان ؟ ماذا ستقول ؟
انتهت كلماتها ، وتزايدت أحزانها من حيث لم تجد القبول
ذهب الوقت هباء ! ثم أفلت صيدها أو كاد من أسر الشباك
وهو من بين ذراعيها المطوقتين قد راح يحث على الفكاك

صاحت الحسناء : «رحماك ! .. وبعض الفضل والرحمة !
تأنيب الضمير ! .. »
وهو ينهض واثبا ومعاجلا نحو الجواد كمن يطير .. !

٤٤ لكن انظر ! إذ بدت فى غيضة كانت هناك مجاوره ،
مهرةٌ هى طفلة مهتاجةٌ شهوية متكبره
فيراها فرس أدونيس الجواد السابقُ
وهى تهطع ، ثم تنخر ثم تصهل صهلة* لاتُلحقُ !
والجواد الأغلب* المربوط فى الأغصان راح يشدها ،
جاذب الأرسان حتى قدّها ، وانساب يجرى عندها .

٤٥ وبغطرسة ينط ثم يصهل قافزا أو يتواثب ؛
ثم ها هو ذا يقدّ حزامه المجدول نسجا فى تراكب .
ثم تجرح ما اعتلاه من ثرى الأرض حوافره الصلاب والرُّحاء* [1] ،
فيدوّى جوفها فى مثل قصف الرعد فى كبد السماء .
فى الشكيمة من حديد بين أسنان شداد راح يقضم ؛
وبذا يحكم فيما كان فيه يتحكم .

٤٦ قد تألّت* [2] أذناه ، وعرفه المنساب فى الخصلات
جثلا وطويلا

(١) الرحاء : اى الضخمة المستديرة .
(٢) تألت : انتصبت أذناه .

فوق رقبته المقوسة استقام وقف حتى قد غدا إكليلا ،
منخراه يشربان من هواء الجو ويعيدان قدرا لا يهون ،
يزفران من البخار بمثل أنفاس الأتون ،
ثم عيناه اللتان بكل سخر تلمعان لهيب نار .
قد تفززتا بشهوته السخينة ورغبته القوية — لا قرار .

٤٧ وهو يركُضُ فى الأحايين كمن جدّ يعدد خطواته ، ،
فى جلال رائق ، فى كبرياء وادع فى لمحاته ،
ثم فورا قد يشب قائما أو طافرا أو يتطامر
هل تراه كمن يقول : « ألا انظروا انى أجرب قوتى إنى أغامر ! ... »
« إننى أفعل هذا أبتغى أسر العيون
التى ترنو بهن المهرة الحسناء وتثير الفتون ! ... »

٤٨ كيف يهتم بحثٌ غاضب من راكبه .. !
أو بتدليل : « ألا هيا بنا ! .. وأقسول اقف ! » من صاحبه
ثم ما يعنيه من شنكم ومن وخز بمهماز يهيجه ؟ !
ثم ما تعنيه أجلال * (1) مزركشة وحليات يهيجه ؟ !
إذ يرى محبوبه ،... بل لا يرى شيئا سواه ..
ليس شيء غيره متوافقا مع متعال كبرٌ عينيه وما يُرضى هواه .

٤٩ فتأمل ! ، حيث يمكن للمصور أن يفوق على الحياة بالطماح ،
كيف بالمرقاش يرسم صافنا * حسن التناسب ؟ لاجُناح ،
لفنه المحتاز مع صُنع الطبيعة فى كفاح

(1) اجلال : طقم الفرس وغطاء سرجه .

وكأن الميْت يجدر أن يفوق أولى الحياة متى يُتاح
هكذا قد فاق كل الخيل ذاك الصافن ، كان إماما :
فاقها شكلا وإقداما ولوناً ونشاطاً وعظاما* .

٥٠ أقورُ* الحافر ، مقصور المفاصل ، أشعث الخلخال حجلٌ
طاف بالسيقان ،
وصغير الرأس ، واني العين ، عبلُ الصدر رحب المنخرين
رافعُ التاج ، دقيقُ الأذنين ، مستقيم الساق يمرق كالسهام
وخفيف العرف ، ضافي الذيل ، ضخم الردف ورقيق الأديم
لم يكن يعوزه شيءٌ قد تحتم أن يجمّع في جواد
غير شهم راكب ، من فوق شهم الظهر مماد .

٥١ وهو أحيانا يقاربه* ، ممعناً في البعد ثم يكف ، ثم يُحماقُ ؛
ثم ما أسرع ما هو مجفل من ريشةٍ إذ تمرق .
قد تهيأ يبتغي أن يتحدى الريح أن تدركه قولا !. فهلا
هل تُرى يعدو ؟ يطير ؟ إن أحداً ليس يدرى كي
يقولا ؛
إذ خلال العرف والذيل تغنى الريحُ لحنا ،
فيطيرُ الشعرُ رفُ جناح طير قد تسمى* .

٥٢ وهو ينظر نحو خلته يصهل صوبها ؛
فتجاوبهُ كمن عرفت كوامن ما يجول بفكره من حبِّها :

يزدهيها ككل أنثى أن تراهُ خاطبا يتغزلُ

فتزيت ظاهريا بالغرابة لا تبالى ، وتبدت نحوه قاسية لا تعـدلُ ،

فهى تلقى بالزِّراية حبهُ ، وهى تسخر من حرارة وجده

ثم تركل بالوظيف *[1] أرقَّ ما بذل المتيمُ من لواعج ودِّه .

٥٣ ثم يمضى مثل منقبض * المزاج ناقم وحزين ،

يخفض الذيل الذى راح كمساقطة من الريش المهين ،

فهى تحبو ردفه المحتر ظلاًّ باردا ،

ويدقُ الأرض ثم يعضُّ بالغضب الذبابَ الشَّاردا ،

والحبيبةُ إذ رأت ما هاج فيه من غضب ،

خففت بعض الدلال فزال عنه بعض ما كان يـلاقى من نصب .

٥٤ فيروح السيد الغضبان قُدماً يبتغى أخذ مقاده ،

لكن انظر !.. أبصرته المهرة الحرة * فامتلأت مخاوف من قياده ،

أشفقت أن يمسكوها .. فتخلت عنه لا تلوى على شيء إزاءه

والجواد يفرُّ معها ، تاركا أدونيس مبهوتا وراءه ،..

وكأنى بهما من ثم مسَّهما الجنون فأهرعا فى غابة قد لاتُشَقُّ ،

(١) الوظيف : مستدق الذراع والساق من الخيل — والبيت يصف حركات القوائم وكأنما هى رفض للواعج الحب التى يبذلها الحصان .

يسبقان الوحش ، فالغربانُ أحيانًا مسبوقٌ ...!

٥٥ ثم يجلس أدونيس مستشيطا بالغضب ،
وهو يلعن فرسه الوغد الجموحا ذا الصخب ،
ثم ها قد أصبح الفصل السعيد مواتيا من كل فج ،
للهوى الملتاع أن يلقى الرضا جدلا بتأليف الحجج
إذ يقول العاشقون : القلب قد يُضنى بأضعاف مضاعفة ثلاثا ،
حين يحرم أن يلاقى عند مقوله * (١) غياثا .

٥٦ فإذا انغلق الأتون ، وإذا النهر اعترض ،
ثار بالنيران أكثر ، ... وطما بالماء أفيض ،
هكذا ما قد يقال إزاء مكتوم الشجى ؛
فانطلاق الفم بالكلمات يخمد كل نار للهوى ؛
فمتى يُبهت محامى (٢) القلب * لم ينبس كلامه ،
راح ينهار الموكل مفلسا ، قد هاضه اليأس عميقا فى قضيته المقامه .

٥٧ فإذا أبصرها قادمةً أنشأ فورا يتوهج
مثلما يحيا مَوات الفحم إذ ينفخه ريح مؤجِّجْ ،

(١) مقول : هو اللسان .

(٢) محامى القلب : اللسان .

وبكمّته* [1] يغطي حاجباً جهما تضرّم بالغضب
ثم ينظر في تراب الأرض والعقل كليلٌ مضطرب ،
وهو لا يلحظها إذ هي في أدنى كثب ،
فهو لا يفتأ يرمقها بعين من لهب .

٥٨ ياله من مشهد يُرعى بلهفة شيق [2] !
كيف جاءت خلسةً نحو الغلام المارق !
من يراقب ما يدور من الصراع بلونها ، [3]
يشهد الأبيض والأحمرَ قد دمرٌ بعضٌ بعضه في جسمها
إذ بدا في خدها آناً شحوب قد وضح ،
ثم لا تلبث نارٌ أن تشب كمثل برق في السماوات لمح .

٥٩ إنها تلقاهُ إذ ذاك فعلا وهو جالس ،
وهي مثل مدلهٍ صبٍّ ذليل قد جثت بركوع يائس ؛
وبكف الحسن ترفع كمةً من فوق رأسهْ ،
كفُّها الأخرى الندية* تلمس الخد الأسيل جوىً بمسه ،
يتلقى خده الناعم بصماً من أناملها الرقيقه ،
مثلما ينطبع الثلج الجديد بأي لمسات دقيقه .

٦٠ ويح نفسي !.. أي حرب للملاحظ* عندها دارت رحاها !!
أي عينين توسلتا لعينين تغزلتا وآها ! ...

---

(١) كمته : القلنسوة .
(٢) شيق : انه مشهد يجب ان يشاهده كل مشتاق .
(٣) لونها هنا يصف الشاعر تقلب الألوان في وجهها بين حمرة وصفرة وشحوب وامتقاع

إذ رأت عيناه عينيها كمّا لم ترهما رأى المثلْ ،
واصلت ألحاظها غزلا ولكن لحظةُ حقّر الغزل
كل* هذا اللعب الصامت قد كان جليا من فعاله ،
وبدمسع مثل جوقة كورس قد أمطرته عينها ، رهز جماله .

٦١ وهى فى رفق شديد تمسك الآن يده :
مثل سوسنة حوتها دارة من سجن ثلج موصدة ،
أو قطعة من خالص العاج يحيط بها بديع المرمر ،
فوكىٌ[1] ناصع الزهره قد حاط عدوا ذى بياض زاهر !..
ذا صراع فاذن ما بين مرتغب ورافض رغبته ،
يتجلى مثل زوجين يماما من لجين شرعا فى لف منقارهما
فى نشـوته .

٦٢ ثم عادت آلة الأفكار* فيها من جديد تعمل ،
« إيه يا أجمل مساع فوق هذا الكوكب الفانى ، لأنت الأجمل ،
كم وددت أن تكون كما أنا ، .. ولكم وددت أن أكون
أنا الرجل !...
أن يرى قلبى سليماً ومعافى - مثل قلبك ، ويرى جرحى
بقلبك بالبدل :
فى مقابل نظرة واحدة خلابة تسعفنى ، خذ ذاك عنى ،
مع هذا أنت لن يشفيك غير هلاك بدلى . »

(١) ولى : أى صديق .

٦٣ « أرجعي لي راحتي » قال لها : « ففيم تلمسها يداك ؟ »
فأجابت « أعطني قلبي ! . . . وبذاك يصير ملكك . . .
لك ذاك ! . . .
ويح نفسي أعطنيه ! . . . لا تدع قاسي فؤادك أن يبث
به الصلابة ،
فهو ان يصلب فلن تقوى أرق الزفرات أن تؤثر فيه خدشا
أو إصابة ،
بعد هذا لن أراعي أنة الحب العميقة ،
إذ ان قلبك أدونيس جعل قلبي صخرة غير شفيقه ! . . »

٦٤ وهو يصرخ : « يا لعاري أتركيني واسمحي لي بالذهاب ! . .
ضاع مني متعة اليوم ، كما ذهب الحصان ولا إياب .
كان من خطئك أني قد حرمت الآن منه ، يالحظي الأنكد ! . .
فاذهبي عني نشدتك واتركيني ها هنا بمفردي ! . .
ان تفكيري وعقلي مع شغلي والشجون ،
أن أرد جوادي الغر من الفرس الخؤون ! . . »

٦٥ فأجابت : « ستري الآن حصانك فاعلاً ماينبغي ،
إذ يرحب باقتراب دافىء من حلم رغبته البهي :
فالمحبة جمرة لا بد من تبريدها ،
إن تدع تسعر وتذكو أججت في القلب نارا ، أين من
إخمادها .

إن للبحر حدودا ، بينما الرغبة إن عمقت فليس لها حدود ،
ليس من عجب إذن ، أن هكذا ولى الجواد . »

٦٦ « كم بدا مثل هجين [1] وهو مغلول إلى الشجرة يجثو من هوان
سامه الذل مهينا سيرُ جلد من عنان ،
لكن انظر ! عندما شهد الحبيبة درة مجلوة لشبابه الغض النضير ،
الحق الهُون العظيم بمقود الرق الحقير ،
راميا شعر المذلة عن ذؤابته [2] المدلاة الكريمة
حيث حرر ظهره ولبانه [3] والفم من نير الشكيمة . »

٦٧ « من رأى حبته الحقة فى عارى الفراش مثل زنبقة الرياض ،
وهى تضفى فى ملاءات الفراش صبغة أنصع من كل بياض ،
ثم إذ يقتات [4] بهرا لحظهُ المنهوم أقواتا أصيله
راح أجمع ما تبقى من جوارحه يدافع نحو متعات ولذات مثيله
أين ، من كان ضعيفا واثيا ، ... من ليس يجسر أن يجازف ، ... يتقاعس
أن يمس النار والجو شديد البرد قارس ؟ »

(١) الهجين : الجواد غير أصيل .
(٢) الذؤابة من كل شئ : أعلاه .
(٣) اللبان : مقدم صدره .
(٤) بهرا : بشدة بالغة .

٦٨ « فلتدعني أمنح العذر جوادك ، أيها الولد الرقيق ! ،
وتعلم منه درساً ! . . قد نشتدك بفؤاد في حريق ،
أن تُفيد مزية مما أقدم من مسرات سوانح ،
مع أني كنت بكماء فإن فعاله لك خير ناصح :
آه ويحى ! قم تعلم كيف تهوى ، إن درسك جد واضح ،
ومتى أتقن يوما لن يزول من الجوارح . »

٦٩ قال : « إني لست أدري ما الهوى ، كلا ولن أتعلمه ! . .
ذاك إلا أن يكون ذاك عفرا ،... ثم عندئذ أطارده بسهم ناقمه ،
ليس سهلا أن أعالج الاقتراض ولست أنوى أن أكون به مدينا ،
كل ما أهفو به نحو الهوى هو أن أجرعه الهوانا ،
ذاك أني قد سمعت أنه عيش يكون في الممات لذا التعس
وهو يُضحك وهو يُبكي في مدى نفس النفسْ . . . »

٧٠ « أين من يلبس ثوبا غير مكتمل قبيح الهندمات » ؟
أين من يقطف زرّا قبل أن تنبثق أولى الورقات ؟
كل شيء نابت لو أنقصت منه قلامه ،
سوف يذوى وهو بعد بعنفوانه ، ... لن ترجى
بعد ذلك منه قيمه :
فالفُلُوّ [١] متى استدلّ على الطفولة ، بالحمول والامتطاء
فهو لن يصلب إن شب ، ولن يغدو له من كبرياء ؛

(١) الفلو (بضم الفاء واللام وتشديد الواو) : الصغير من الخيل

٧١ « أنت تؤذين يدى باللّىّ ، هيّا نفترق ! . . .
فدعيه ذلك الرأى البليد جانبا ودعى هذا الهراء المختلق ،
وارفعى طوق حصارك عن فؤاد لا يلين ،
فهو تلقاء هجوم الحب لن يفتح باباً لحنين ،
فانبذى الأيمان ، والدمع الكذوب ، ثم تمليق الدهان
بأى حرف
فهى إن كان الفؤاد جلمداً . . . لم يمَل من عزمه مهما رمت
أفدح قصف . »

٧٢ فأجابت «ويك ماذا ؟ ! .. أنت تدرى ما الكلام ؟! هل وهبت
لسان قول كي تقولا ؟!
آه ليتك لم يكن لك من لسان ! أوليتنى ما كان لى أذن
لتسمعنى مقالا !..
إن صوتك صوت حوراء « البحار » قد دهانى مرتين ،
آنفا قد كان حملى مثقلا لكاهلى ، ثم أضحى فادحا للعاتقين ،
إنه لتنافر عذب رخيم ، ذلك اللحن السماوى الأجش الصارم ،
إيه موسيقى المسامع عذبة وعميقةً ! ، إيه يا جرح الفؤاد
سرى عميقا يؤلمُ ! ...»

٧٣ « إننى لو لم تكن عينان لى بل أذنان » ، « حبت الأذنان
ضربة قاهر »

ذاك الحسن الخفيّ المتوارى عن عيون الناظر ،
أولو انى كنت صماء لحركك كل جزء من جوارحك الظواهر
ألف مره
أى جارحة لدىّ بها من الإحساس ذره
مع أنى لو حرمت العين والأذن معا ، كى لا أرى وأسمعا
غصت فى شرك الغرام صريعة باللمس والحس معا . »

...

٧٤ هب ! تخلت عن بنانى لحظة حاسة لمسى
هب ! حرمت السمع والإبصار واللمس بحسى
هبه لم يبق لدى غير حس الشم وحده ،
إن حبى مع هذا سوف يبقى لك وحده
إذ من مجاجة عطر وجهك ومحيّاك الجميل الفائق
تخرج الأنفاس عاطرة تغذى الحب بالأرج الرقيق
العابق »

٧٥ « ويح نفسى ! أى مادية جعلت للمذاق الرائع !...
كنت مرضعةً ومطعمةً لباقى الأربع !
هل تراهم ليس يرجون الوليمة أن تدوم إلى الأبدْ ؟
يأمرون « الشمك » أن يغلق باب الحفل مثنى مرتين بكل جدْ
خوف أن « الغيرة » الضيف المرير المبغضا ،
بتسللها الخفى إلى الوليمة تزعج الحفل الجميل المرتضى »

٧٦ ثم ثانيةً تفتّح باب ياقوت بديع ،
راح عند حديثه ينهال بالأقداح من شهد الربيع ،
مثل صبح أحمر حمرته يا طالما قد أعلنت
بالتحطم للسفين والعواصف للحقول ، وآذنت ،
بالشجون لكل راع ، والثبور إلى الطيور في المقيلْ
والسيول والرياح الهوج للقطعان ولراعي الرعيل .

٧٧ وهي تلحظ بالروية قال هاتيك النُذُر
إذ مثلما قد تصمت الأرياح من قبل المطر ،
أو مثلما يبتسم الذيب إذا الذيب تهيأ للعواء ،
• مثلما تنفجر الثمرة إنذارا بتلويث الوعاء ،
أو كمثل قذيفة مهلكة من مدفع تمضي مضيا ،
صدّمها معناه حتى قبل أن ينطق بالقول مليا •

٧٨ حين نظر نحوها خرت على الوجه مكبةْ ،
نظرة قد تقتل الحب ، ونظرات تعيد عرى المحبة
بسمة تشفى جراحات العبوس ،
غير أن المفلس المحظوظ من يَثْرَى ثراء بالهوى في غير بؤس
والغلام الغر إذ ظن الكريمة فارقت هذى الحياة ،
راح يصفق[1] شاحب الوجنات حتى صارتا ورديتين كشأن
مرجان الشفاة !

(١) اى ظل يضربها على وجنتيها لتستفيق .

٧٩ واستبد به الذّهول فراح يكبح نفسه عما انتواه مؤخرا
إذ جرى فى خلده فعلا بأن يشتد فى تأنيبها متنمرا
وهو أمر حال مكر الحب دون حدوثه بذكاء فطنه*
يالها من فطنة أبلت بلاء رائعاً ذوداً عن النفس وقد وقعت بمحنه

هكذا ترقد فوق العشب كوماً كالذبيحة أو تزيد ،
وإلى أن نفخت أنفاسه ريح الحياة تدب فيها من جديد

٨٠ فهو يلوى أنفها ، آناً ويضرب خدها فى غير عنف ،
لاينى يثنى أصابعها : يجس النبض فى قلق ولهف ،
وهو يدلك ثغرها فى الشفتين ، وهو ينشد فى الوسائل ألـف ألـف

يبتغى يصلح ما قد أفسدته لها فظاظته بعنف ;
وهو يلثمها ، فتعمد بالارادة والمراد ،
ان تقوم كى يقبل ثغرها حتى المعاد* (١) *

٨١ ليلة الأحزان ها هى ذى وقد حالت نهارا :
ترفع اللحظين نافذتين زرقاوين وهْناً وفتورا ،
شأن شمس الحسن فى إشراقها النّادى النضير
إذ تحيىّ الصبح ، تجلو الأرض ، تمنحها من الرّوْح* (٢) الكثيـر ،

(١) المعاد : يوم القيامة
(٢) الروح ، بتسكين الواو : الراحة والسرور .

ومثلما الشمس الوضيئة تملأ الأجواء أضواء ومجدًا
فكذلك وجهها إذ يستضيء بلحظها نورا ووقدا

٨٢ إذ أشعته الجميلة ركزت فى وجهه الحلو الوضيء الأمرد
فكأنما من ثم تقبس ما لديها من سطوع عن يد ،
حيث لم يسبق لأربعة مصابيح معاً أن تجمعا ،

ذاك لولا أن عينيه تربدتا بكدر ران فوق الحاجبين له معا
لكن انظر !.. إن عينيها اللتين ترسلان الضوء ينفذ وسط بلور الدموع
قد أضاءت مثل وجه البدر فى ماء يرى بالليل وهاج السطوع

٨٣ قالت الزهراء « أين أنا ؟ أفى الأرضين ؟ أم فى جنة الخلد المقيم غارقة ؟
فى خضم الماء ؟ فى موج المحيط ؟ أو بنيران الجحيم الحارقة
أى ساعات النهار هذه ؟ فى الصباح ؟ فى المساء المرهق ؟
هل ترى يبهجنى أنى أموت ؟ أم ترى أبغى الحياة ؟ ومن بقى ؟ !
بيد أنى الآن أحيا ، والحياة هى المُنغّص للممات
غير أنى الآن ميتٌ ، ... ثم كان الموت جدلا طافحا بجميع أسباب الحياة »

٨٤ « آه ! .. ها قتلتنى فلتقتلنى من جديد ! ..

فوراء الفعل من عينيك أستاذ هو القلب الشديد
علّم الأعينّ حيّلا ساحرات ، وحباها من صنوف
الازدراء دواهيا ،
وبذا قضتنا عليه : قلبى العانى الضعيف الوانيا ،
إنما عيناى هاتان اللتان هما الدليل إلى المليكة ترشدان ،
« لولا ماتريان من شفتيك باعثة اللواعج [1] ، لم يكن
فى الكون شىء تريان

٨٥ « ليتها تلثم إحداها طويلا أختها رغبة فى ذا الشفاء
لا تدع ثوبهما القانى بلون الكرْز يطويه « الفناء !
ما دامتا ياليت تبقى نضرة الميْعة لهما فى دوام ،
ذاك كيما تُطرد العدوى « من السنة الوبيئة بالسقام !
كى يروح راصدو النجم – وقد سطروا على الناس المنيةْ
فيقولوا أذهَبَ الطاعون عنا فيض أنفاسك ذفراء [2] شديةْ »

٨٦ « شفتاك العذبتان ، خاتما التنهد ، إذا طبعت على شفتىّ
تمثال النعومة ،
أى صفقات سأعقد كى تزالا تطبعان إلى القيامةْ
إننى أرضىَ ببيع النفس ، أشعر بالرضاء ،
كى يهيأ لك أن تشرى وتدفع ، وتقيم تعاملا ، سهل القضاء

(١) اللواعج : من لعج الحب والشوق فؤاده اى احتمر فيه .
(٢) ذفراء : العطر الأذفر الجميل القوى

وهي شروات إذا قمت بها من خشية الزلات فورا
فضع البصمة من خاتمك من فوق شفاهي قانيات الشمع
حمـرا »

٨٧ « ألف قبلات حسان تشترى قلبى المُعنَّى من يديا ،
واجعل الدفع بميسرة : قبلة فى إثر أخرى لو تهيا
ما تكون ... ألف واحدة من اللمسات عندك ،
قل أما تشرى سريعا ؟ ثم لا تلبث أن تمضى سريعا قل بجدك .. !
ثم قدّر أن عدم الدفع يسفر عن مضاعفة الديون
هل ترى عشرين مائة من لقاءات الشفاه مُشكلا يضرى[1]
الشجون ؟ »

٨٨ « ملكتى الحسناء » قال لها : « إذا حُمِّلت نحوى أى حب
أو سعير ،
فلتقيسى ببرودى أن عمرى لغرير[2]
قبل أن أعرف نفسى ، أجنَّبى أن تعرفينى كطرير[3]
فحصيد الصائدين يرد للجة ما يصطاد من سمك صغير ،
يسقط الثمر الجنى ، والثمار الخضر تبقى حيث لا تتزعزع ؛
فإذا اقتطعت بدارا ، فالحموضة طعمها المتجرّع . »

---

(١) يضرى اى : يهيج .
(٢) الغرير : الغر الأحمر .
(٣) الطرير : ذو المنظر والرواء والهيئة الحسنة

٨٩ ‏ وأنظري هـا جالبُ الراحات [(١)] في الدنيا ، يغادرنا بخطوات لغوب .
عمله الساخن ، أثنا يومها [(٢)] ذاك ، انتهى عند الغـروب ،
يصرخُ اليومُ نذير الليل « إن الوقت فعلا قد تأخر ،
للحظائر ولّتْ الشاء – وآوت للعشوش الطير تبغى تتوكر .
والغمام الفاحم اللون الذي راح يغشّى وجه أضواء السمـاء
راح يدعو للتفرق بيننا ، وبأنه قد آن تقديم تحيات المساء »

٩٠ ‏ «حان أن يؤذن لى أنّى أقول «عمى مساء» » ! ثم قولى أنت أيضا ،
أنت إما قلتها ، تجزين قبلة راحل ثمنا وعوضا ،
ثم قالت : « عم مساء ! » إنما من قبل أن قال « وداعا » :
ثم هم بالسُّرَى .
كان أجر فراقه المبذول شُهدا قد جرى !
فلقد لفّت ذراعيها على العنق ، وأعطته عناقا مستطابا
مشبعـا ،
فبدا الجسمان مندمجين . والوجهان قد نبعا مَعًا .

٩١ ‏ إذ تمكن لاهثا من أن يخلص نفسه ، يسحب للخلف قليلا
ذا النَّدى الرطب السماوى ، فم المرجان عذبا سلسبيلا ،
مَنهَلُ الطعم الرحيقىّ الذى عَرفت مذاقته مراشفها العطاش

(١) جالب الراحات : رب الشمس .
(٢) اثنا يومها : أى اثناء (بحذف الهمزة)

الذي يشممت * به ، لكنما مع ذاك تشكو الجدب تفتقد الرشاش
هو بما ملكت من الخير بضيق وهي مرهقة كأنضاء * المجاعة ،
قد تلاصقت الشفاه فيهويان إلى التراب ولا شفاعة ،

٩٢ عند ذلك تمسك الرغبةُ جامحةً تلابيب الفريسة مذعنة ،
ثم تأكل أكل منهوم وأين لها امتلاء عند تلك الآونة :
شفتاها فاتحٌ غاز ، وشفتاه تطيعان خُضُوعا
تدفعان لذلك العادي بما هو يبتغي من فدية تجبى انتزاعا ،
فيحلق * فكره تحليق نسْر في اقتضاء السعر ضخما عاليا
فهي ترشف كنز شفتيه الثمين لكي يجف ، يصير حطبا
ذاويـاً :

٩٣ فإذا شعرت بما حوت الغنيمة من حلاوة
أقبلت في حدة عمياء تلهم في ضراوة ،
صاعــدٌ من وجهها سحب الدخان والبخار ، دمها الفوار يغلي
في العروق لهيب نار
ويثير الشبق الأرعن فيها جرأة اليائس تفضي للدمار ؛
تغـرس النسيان بذراً ، تدفع العقل الحكيم إلى الوراء ،
تتناسَى حمرة الخجل الطَّهور ، والدمار إذا اعترى الشرف
الوضيء

٩٤ وهو حران ضعيف مجهد، إثر ما قاساه منها من عناق كالنآد * [١]
مثل ضاري الطير روَّضه التداول في الأيادي ..
أو كظبي مسرع السيقان أعياه الطراد ،
أو كطفل شكس قد أسكتوه بالدعابة والوداد
فهو حينا قد يطيع ، .. ثم حينا لا يقاوم لا يريم ،
وهي تأخذ كل ما قد تستطيع وليس كل ما تروم .

٩٥ أي شمع مثلج لم ينصهر تحت العلاج *
ثم يخضع في النهاية لأخف الضغط من صاحب حاج !
ربما أشرف بالمرء على ما يعد في المأمول شيء من خطار *
خاصة في الحب ، حيث سماحه قد بز تفويضا يعار
فالمحبة لا تخور * مثل فسل [٢] شاحب الوجه جبان ،
بل تسوق الغزل أحسنه ، متى ما كان دأب المجتبي محض الحران [٣]

٩٦ عندما عبّس ، وينحي إنها لسو عند ذلك أقلعت عنه اشتفافا *
لرحيق مثل هذا من مراشفه لما وفته نهلا وارتشافا [٤]
فالكلام المر والتعبيس ليس يجوز أنهما يردان محبا والها
رغم شوك الورد يقطف كارها .

---

(١) النآد : الداهية الفادحة .
(٢) الفسل : الرجل الرذل الجبان .
(٣) الحران ، أي : عندما يكون دأب الحبيب المنتقى الحران والمعاندة
(٤) ارتشفا ما في الإناء – تقصاه شربا

لو حبسنا الحسن   فى عشرين قفلا صامداً
لاستطاع الحب أن يفتضها* ويلمُّها متغلبا متعمدا.

٩٧ وهى إشفاقـا عليه لم تعد تستطيع بعد الآن قطعا منعه ،
فالغرير الأحمق المسكين برجوها بان لابد أن يرحل – وسعه
عقدت نيتها ألا تواصل منعه ، من بعد ذا ، . وعلام تمنعه
عـلام ؟

« ودعته الخير ورجته بأن ينظر بالخير لقلب مستهام ،
وهو قلب أقسمت تحتج فيه بقوس كيوبيد الصؤول
وهو يحمله هناك يضمُّه فى صدره الغض الخجول .

٩٨ « أيها الولد الجميل ! » – ثمّ قالت – « هذه الليلة أقضيها
بحزن وشجن
قلبى المقروح يأمر مقلتىّ لتسهرا دون وهن
فأفدنى سيد الحب – أتلقانى غدا ؟
« قل ! فأوضح ! ، نلتقى ؟ هل نلتقى .. ؟ هل ترى فى
صفقة الحب هى أن تُعقدا ؟ »
وهو يبلغها بأن « لا » ، فهو ينوى فى غد ؟
أن يصيد العفر « فى طائفة من خلصاء خرّد (1)

٩٩ قالت « العفر » ... ؟ ويفجؤها كساء من شحوب غـامر



(١) أخرد الرجل : مال إلى اللهو وهو خرد .

كالشفيف من النسيج إذا ترقرق فوق ورد ناضر
جساء مختصبا لخديها ،فارعدها بما قد راح يروى من حكاية ،
ثم ألقت بذراعيها تحيط بعنقه نيرا تحف به العناية
وهى تتهاوى إلى الأرض على العنق
وهو فوق بطنها يهوى عليها ، .. وهى فوق الظهر تستلقى

١٠٠ ها هى الآن تخوض حلبة الحب الضروس ،
وامتطى فارسها الصهوة أهبا * للقاء العارم الحامى الوطيس
وإذا هى تتحقق : كل شىء هو خيالٌ فى خيال ،
هو لن يرتادها ، مهما يكن راكبها ، ياللخبال !!
إنها تلقى العذاب مبرحا ، أمكى كثيرا من تعذب
تانتالـوس*
حيث حُرمت كل متعتها وقد ضممت بزنديها مباهج جنـة
الفردوس*

١٠١ وهى شأن كل طير بائس قد خدعته صورة للعنب
تملأ الأمعاء بالعين تغذي الجوف منها من أليم السغب*
وعلى نفس الغرار قد وهت بين الرزايا والعبر ،
مثل تلك الطير لما أن رأت ما لايفيد من الثمر ،
فالشعور السـدافىء الحق الذى وجدته يعوزه ، .. وأعيتها الحيل ،
حاولت كلًا ، لتشعله بموصول القبل .

١٠٢ كل شيء كان عبثا ، يا مليكتنا الكريمة ،.. إن شيئا ان يكونا :
« إنها قد حاولت إقناعه فى جهد ما وسعته لم تترك مبينا ،
ويحها ! كم جادلته بحجاج كان أحرى ، أجره أن كان أكبر !
« إنها الحب » ،.. إنها لتحب ،... مع هذا فهى لاتحظى
بحب ، والهوى ليس بمنكر
« ويك ! ويك ! » صاح فيها « قد سحقت فاتركينى !..
مالديك الحق فى أن تحجزينى »

١٠٣ قالت الحسناء « إنك قد ذهبت قبل هذا ، أيها الولد الجميل ،
بيد أنك لم تقل لى أن ستنوى صيد ذا العفر الوبيل . .
آه منه ، ! فانتصح ! إذ لست تدرى ماهو؟! . . لايؤمن
إن فيه سنان رمح وهو خنزير غليظ البأس إما يطعن
كاشراً عن عوج أنياب ليشحذها كأطراف الشبا إذ يفغر
شأن جزار يحب القتل صمم ينحر !... »

١٠٤ « وله فى ظهره الأحدب شكة [1] معركة
إن فيه شعرات كالأسنة منذرات خصمه بالتهلكة
تلمع العينان منه كالحباحب [2] ، حين يوعد غاضبا
تحفر الفنطيسة [3] الأجداث [4] أيان تولى ذاهبا

(١) الشكة ، بكسر الشين : مايحمل أوليس من السلاح .
(٢) الحباحب ، بضم الحاء : حشرة مضيئة .
(٣) الفنطيسة : بوز الحيوان الكاسر .
(٤) الأجداث : القبور .

إن أثير أصاب بالضربات ماشيء يراه في طريقة قدبدا
من أصاب بضربة من عُوج نابيه يحيقُ به الرّدى . »

١٠٥ «جاذباه القاسيان بأصلب الشعرات نصلا شُملشّحا ،
فيهما درع أشد صلابة مما يطيق سنان رمحكَ أن يشق ،
ويسرحا ،
منقه الضخم القصيرُ الأغلب[1] ،... ليس إنزال الأذى فيه
من الأمر اليسير
فهو إن أحنق ، جد ينازلُ الأسد الهصور !
ويح عُلَيْق بأغصان شوائك أو شجيرات نمت متعانقة ،
إنهـا لكأنها تخشاه ، . تفترق .. فيمرق عاجلا كالصاعقة

١٠٦ «يا لأسفي ! إنه ليس يقدّر ما تبدى من محاسن طلعتك
التي بدات لها عين الهوى النظرات رمزاً للخضوع لطاعتك
لا ، ولا غض يديك وناعم الشفتين والعينين كالبلورتين
التي يذهل ما أودع فيها من كمال، عقل دنيانا وعقل النيرين *
لكن إذ هو منك أرجح كفّة ، . – ذلك الرعب الرهيب ! .
سوف يهلكك ، .. يحفرٌ ذي المحاسن شأنه حين يحفرُ
في ثرى المرج الخصيب

(١) الأغلب: الغليظ العنق

١٠٧ « آه ! دعه يحتفظ فى غاره الممقوت دوماً بالسكون !
أي صلة للجمال العذب تربطه بشيطان لعين ؟
ويلك حاذر من دنو من مجال عرامه بإرادتك ،...
إن من يرجون نجحاً باهراً يستلهمون النصح من خلصائهم ،
والرأى لك
أنت حين ذكرت لى اسم العفر ، لما تخف شيئا ،
قد بعثت الرعب فى قلبى عليك ، ثم أرعشت فرائص ركبتيا

١٠٨ « أو لم تلحظ محيّاى ؟ ألم يمعن شحوبًا ؟
أو لم تشهد بعينى ظاهرات الخوف تضطرب اضطرابا ؟
أو لم يظهر بأوصالى الوهى ، فخررت من فورى مغشيا عليّا ؟
راح فى صدرى الذى تفترش الآن مليا
قلبى المترجس الشرَّ يدق ، يدق ، يلهث لا يقر له قرار ،
بل يهزك فوق صدرى مثل زلزلة الدمار . »

١٠٩ « إذ حيث للحب الولاية ، تنبرى الغيرة » « مزعجة القلوب
تدعى كالديدبان أنها حرس العواطف والوجيب » .
ينذر النذر الكواذب ويحث على التمرد والعصاة [1]
ثم يصرخ ساعة السلم بأن « هيا » اقتلوا ! .. ثم اقتلوا
فصل الإيساة »

(١) العصاة ، بفتح العين : العصيان .

مفسداً لنبيل طبع الحب فى رغبته والاشتهاء ،
مثلما يخمد وهج النار ماء وهواء . »

١١٠ « إن هذا الواشى المر ، وذا الجاسوس أصل الشرفى كل زمن
ذلك الدود الذى قد راح يلهم برعم الحب اللدن ،
وهو تلك « الغيرة » النمامة النكراء ،
التى تحمل نبأ صادقا حينا ، وحينا أكذب الأنباء ،
تعترى قلبى بالدق وتهمس فى الأذن :
إننى لو كنت أهواك خشيت عليك شر الموت عادية المحن . »

١١١ فوق هذا جاء يحمل لى رأى العين مرأى واضحا
صورة هولى لعفر يتبدى غاضباً وجارحاً ،
مرقدا من تحت أظفار وأنياب حداد كالحات ،
صورة مثلك غطتها الدماء القانيات
سال منها الدم منسكبا فضرجت الزهور الناضرة
ذهب الحزن بنضرتها ، فقد ثنيت الرؤوس حاسرة »

١١٢ « ما الذى يجدر بى ، وأنا أراك هكذا ، أن أفعلا ؟
وأنا أرتاع يرعشنى التخيل قاتلاً ؟
محض تفكيرى يجعل قلبى الواهى يدمى

بينما الخوف يعلمه التنبؤ بالذى سيكون حتما

قد تنبـأت بموتك ، أنت أشجانى التى فى الأرض تسمى

إن تقدمت غدا للقاء ذاك العمر — قطعا »

١١٣ « لكن إن أصررت على الصيد فخذ نصحى وفكرى ،

أطلق الكلب على الأرنب رعديدا فيجرى ،

أو على الثعلب إذ يحيى على المكر رواغا واختفاء ،

أو على الظبى الذى لا يستطيع بحلبة الهيجا لقاء ،

والجبانَ الفسل من هذى الخلائق فلتطاردْ فى التلال وفى الحـزون (١)

ثم لازم بجوادك جيدِ الأنفاس* يصحب جريه الكلب الأمين

١١٤ « فإذا أنت على السيقان هجت الأرنب المذعور ذا البصر الكليل * ،

راع ذا المسكين كيف يروح كى يجتاز مأزقه الوبيل ،

يسبق الريح ويعمد جاهدا شأن الحريص

أن يعرج فجأة أو أن يجوز » بألف ساق لا محيص ،

والفجاء (٢) الكثر فى السموج * (٣) التى يمرق فيها ،

أشبهت « دارا لتيه » بلبلت أعداءه من سالكيها . »

---

(١) حزن المكان : خشن وغلظ .

(٢) الفجاء ، جمع فجوة .

(٣) السوج ، جمع سياج .

١١٥ «فهو يجرى تارة بين قطيع من غنم ،
كى تضل كلابك المكرة ، يخطئها النسم » [1]
وهو حينا قابع ما بين مزدحم الأرانب فى حفائرها بأكناف الربى
كى يصدّ مطارديه اللجب » عن صيحاتهم ذات الصدى ،
وهو فى الأحيان مختلط بسرب من ظباء ،
فالمخاطر تنبت الحيل الذكية ، والمخاوف رهن خدمتها الذكاء .»

١١٦ «إذ هنالك حيث تخلط ريحه بالآخرين ،
فالكلاب عتية الشم تضل بين شبهات من الشك المبين
فتكف صياحها الداوى حتى تفردا »
فى كثير من هياج ذلك الريح » الضعيف المفردا ،
ثم تطلق من حناجرها الصياح يجيبه داوى صداه
» فكأنى بطراد آخر ينساب فى أعلى سماه .»

١١٧ «عند ذلك ، يا لهـذا الأرنب المسكين يرقب من بعيد ،
فوق تل ،
وعلى خلفيتيه واقفا يرهف سمعا مرهفا ليس يضل ،
مصغيا يسمع هل مازال أعداء له يتعقبون ،
ثم لا يلبس أن يصغى لصيحة حربهم إذ يهطعون »

(١) السم : التشم بالأنف .

عند ذا يغدو أساه كالعذاب المستطير ،
كمريض مدنف يصغى إلى « جرس الموَدِّع إذ يسير »

١١٨ « وهنالك كنت تشهد ذلك التعس الملطخ بالندى مثل الغريق
وهو يذهب ثم يغدو حائدا ومعرجا وفق الطريق ،
كل مضطغن « (١) من الأشواك يدمى قدمه اللغب « الضعيف
أى ظلٌ مبطلٌ حركته ، ... أى دمدمة كأمر بالوقوف
جلٌ أهل الأرض يطأون التعاسة والشقاء ، (٢)
والوضيع يهون حتى عز من ينجيه من هول البلاء . »

١١٩ « قرّجنبى بهدوء ! ، واستمع منى المزيدا ! »
لا وكلا ! ... لاتكافح ...... لن تقوما .. ! ولن تعودا ...
إننى كيما أبغّض صيدّ ذا العفر المريد
فعلى عكس طباعى أنت تسمعنى أقدم صفوة الأخلاق فى درس عديد ،
فأطبّق ذا على ذاك ، وهذا فوق هذا ، لايداخلنى أفن » ، (٣)
يستطيع الحب تعقيباً على كل المحن . »

١٢٠ « يا ترى أين وقفتُ ؟ » قال : « لايعنيك أينْ !
فاتركينى ، ... تنته القصةُ فى أنسب زين

(١) مضطغن « شبه الأشراك بالحاقد ، والضغن : الحقد .
(٢) التعاسة والشقاء « أى : التعساء والأشقياء .
(٣) الأفن : فساد العقل .

« قــد مضى الليل . » فسألته « وما فى ذاك ؟ ، هل هذا يضمير السيــدا ؟ ! »

قال : « إنى ضارب مع أصدقائى موعدا
سادت الظلمة إلى ان مضيت فقد أقع . »
فـستجابت « تبصر الرغبة [1] ليلاً ، فوق ما تبصر فى أى
زمـــان متسع

١٢١ « « غير أنك إن سقطت ، فويح نفسى ! فتصور أن جرى
هذه الأرض وقد وقعت بحبك تجعل الخطوات تكبو فى الثرى
كل ذلك ترتضيه لكى تخالس منك قبله
هكــذا شفتاك كالسلب [2] . النفيسة تجعل الرجل المنزه
سارقاً وبأى علة
وهى تجعل من ديانا [3] . ربة الطهر الحيية نضو [4] هم وشقاء
من مخافة أن تخالس قبلة منــك وتقضى نحبها ، حنثت
بأيمان العفيفة والوفاء »

١٢٢ « إننى الآن بداجى الليل أدركت لماذا ؟
غللت* سنثاء فى خزى وعار ألقها الدفاذا ،

---

(١) الرغبة : الشهوة .
(٢) السلب ، هى : الأسلاب .
(٣) كانت لديانا وهى ربة القمر اشكال ثلاثة ، فهى فى الأرض ديانا وفى السماء سنثيا (سنثاء) وفى العالم السفلى هيكات .
(٤) النضو : المهزول من الهم

كي توجه «للطبيعة» مصدر التزييف شنعات الخيانه ،
حيث سرقت من سماء الكون أشكالا مقدسة ، المكانة
أفرغت شكلك فيها ،... امتهانا للسموات وبيلا ،
تخجل الشمس نهاراً ثم تخزى وجهها ، الليل الطويلا »

١٢٣ من هنا راحت تقدم رشوة نحو القدر
كي يهجن للطبيعة بدع صنعتها العجيب المبتكر
كي يخالط بين بدع الحسن ووبيل النقائص والوهن ،
والكمال المطلق الصافي بتشويه الدمامة في السحن،
جاعلا منها أسيراً خاضعا للجبروت
الذي يحويه مجنون البلايا وكثير من شقاء لا يموت

١٢٤ مثل حارقة من الحمى ورعشات الشحوب والوهن ،
مثل أوبئة يسممن الحياة ،– مثل لوثات [1] قدن من الأفن
كالسقام الناخر العظم الذي عدواه ضر لا يريم [2]
يفرخ الأوصاب [3] ، إذ يغلي بكل دم كريم
بله تخم وبثور وجوى الأحزان والبأس اللعين
أقسمت جمعا على قتل « الطبيعة » حيث صاغتك من الحسن
المبين

(١) لوثة : الجنون .
(٢) لايريم : لايتزحزح .
(٣) الأوصاب : الأمراض .

١٢٥ « ليس أدنى هذه الأسقام شأنا
غير ما يتخذ الحسن وبعد قتال ثانيتين ، رهنا *
كـل ما يحويه من سيما المحيا من متاع من صباغ بل وحتى
من سجايا
والتى بهرت بها عينا المحـايد حين شاهدها أخيراً حيث
أعجب بالصفايا
كيف ذابت فجأة وتدمّرت وتولت
مثلما شمس الظهيرة قد تذيب ثلج جبل فى أعالى القمة »

١٢٦ « من هنا رغم « عفاف » مجدب » ما أن أفادا ،
كعذارى النـار * قد أعوزن حبا والبنات الراهبات تخـذن
عشق الذات زادا ،
إن ذا فى الأرض يشمر ندرة ، نقصا عميماً
جالبا فى البنت والولد المرجّى قلة ، جدبا عقيما
كن سخيا ! .. إن مصباحاً إذا يوقد ليلا
فهو لا يألو يجفف زيته كيما يُعير الكون نورا ليس يبلى »

١٢٧ « أى شىء ، هو جسمك غير جدث مبتلع ،
قد تهيأ ليوارى ذلك النسل الذى قد يمتنع
للذى لا بد أن تملكه أخذا بأحكام الزمن
ذلك إن لم تقترف تدميره فى ستر ظلمات الغموض والدجن

إن كذا تقدم فان الكون يمنحك احتقاره ،
حيث أمل رائع في كبريائك ثَمّ قد لاقى دماره ،

١٢٨ « هكذا تصبح في نفسك نفس منك فذيت لن تعودا !
وهو شر جاء أنكى موقعا ممن بحرب الأهل قد رفعوا البنودا ،
أو كمن مدّ يد اليأس لقتل النفس في غير ضمير ،
أو كسفاح غشوم جد يحرم ولده نعمى الحياة ولا مجير
بأكل الصدأ الكريه روائع الكنز الدفين
بيد أن الذهب إن يستعملوه يجلب الموفور من ذهب ثمين . »

١٢٩ قال أدنى : « لا ، إذن فلا سوف تتردين ثانية بلا
أدنى جدال
في مهاوى نفس فكرتك البليدة ، ذات أقصى الابتذال
إن قبلتى التى أعطيتها لك ، أعطيت في غير جدوى ،
ثم لا جدوى لما تأتين من جهد بضدّ النهر ، والتيار أقوى ،
إذ — وهذى الليلة الظلماء مرضعة الخنا* (١) والشهوة
السكرى الدميمة
يقتضيني جدلك المكروه ميلاً لك يزداد على الأيام
بغضاً وسخيمة * (٢) » .

---

(١) الخنا : الفسوق .
(٢) سخيمة : حقد

١٣٠ « فإذا كان لهوى أعطى لك الآلاف من ذرب اللسان ،
وحبا كل لسان ما يفوق ما لديك فى الفصاحة والبيان ،
ساحرا اللب كالأنغام تصدرها عروس البحر خلّب ما جنات ،
سوف ينبذ مسمعى تلك اللحون المغريات
فاعزفيها إن قلبى واقف شاكى السلاح فى الأذن ،
لن يمكن « نأمة [1] زائفة أن تلج فيها تطمئن »

١٣١ « ولكيلا يستطيع الانسجام [2] الخادع المحتال يجرى
فى الحنايا الساجيات [3] الروع من أعماق صدرى
وبذا يقضى قضاء مبرما حقا على قلبى الصغير
وهو ثاو فى طوايا * خدره [4] إذ يحرم الراحة * ورخىّ القرار.
سِت * [5] ! كلا ثم كلا ! إن قلبى لا يحن إلى الأنين
بل ينام يغط فى نوم عميق – إذ ينام الآن منفرداً بلا
أدنى حنين »

١٣٢ « أى شئ فيه حاورت ولم أسطع له تفنيداً ؟
فالسبيل المنتهى للخطر سلس ، أوتيت تمهيداً

(١) نأمة : أضعف الأصوات .
(٢) الانسجام : النغم الموسيقى .
(٣) الساجيات الروع : الساكنات النفس والبال (بضم الراء) .
(٤) خدرة : غرفة نومه .
(٥) ست ، بكسر السين : سيدتى .

لست من كره الهوى ،... لا بل سبيلك فى الهوى
إذ يعير عناقه كل غريب قد ثوى
تبتغين به التكاثر !.. أى عذر ملتمس ! ! ؟
عندما يغدو الحجى القواد يخدم فى شهوتك الدنس !! »

١٣٣ « لا تسمّى ذاك حبا ! .. هرب الحب لأجواز السماء
غصبته الشهوة النكراء فى الأرض أسمه السالى الضياء ،
تحت مظهره البرىء قد تغذت كطعام
بالجمال الغض مُنزلةً بـــه وصمـم المعسرة والمــــلام ،
للذى تدنسه الطاغية الحرّى وتحرمه سريعاً من وجوده
كاليساريع* أتت فوراً على الأوراق لينة جديدة »

١٣٤ « يهبُ الحب الجمام والارتياح ، .. كطلوع الشمس فى غِبّ المطر ،
بينما الشهوة كالاعصار بعد الشمس وضياء بَهَرْ ،
وربيع الحب نضرته تظل على الدوام
وشتاء الشهوة النكراء يأتى قبل أن يمتد بالصيف المقسام
لا يصاب « الحب » يوما باكتظاظ التخمة ، بينما الشـهوة
كالمنهوم تفنى وتموت
شكّلُ « الحب » » من الصدق المبين بينما الشهوة تزييف مقيت

١٣٥ «قد أزيدُ السرد بسطاً ، بيد أنى لست أجرؤ أن أزيدك من مقالى ، خطبةً ». جاءت على نص قديم ، والخطيب قليل علم بالصيال
وعلى هذا سأمضى فى شقاء وشجن
إن وجهى قد تجلل بالخجل ،.. إن قلبى قد تملأ بالحزن
إن آذانى التى أصغت لصوت منك فى قول خليع مستهين
إنما تحرق فعلاً نفسها إذ وقعت فى ذلك الاثم اللعين »

١٣٦ عند ذلك يتخلص من عُرى الحضن الجميل
مُفلتاً من بين تلك الأذرع البضّــة قد ضمته للصدر النحيل ،
ومضــى يجرى إلى المنزل بين مروج عشب فى الظلام مهطعاً
يترك « الحب » قــد استلقى على الظهر كئيبا موجعــاً
كيف يَهوى النيزك الوهاج من عليا السماء ؟
هكذا بصرت به عينا فينــوسٍ مارقاً منها يشق الليلة الظلماء

١٣٧ فانبرت فى اثره تمرق ، تعدو ، مثل من بالشط يجرى
إذ يرى خلاً كريماً أنزلته سفينة والليل يسرى ،
دام حتى لقّفتــهُ ضاريات « الموج مايدرى امرؤ أيــان ولّى
وهى تدفع للسما حافاتها فتصارع المزن [1] المدلّى
هكذا فعلت بها قسوة تلك الليلة الظلماء مثل القار
حيث لفت فى طواياها غذاء العين عن غير انتظار

(١) المزن : السحاب .

١٣٨ ثم راحت فى ذهول مثل من عن غير قصد متعمد
سقطت من يده جوهرةٌ فى النهر والفيض يمد
أو كمن قد سار يمضى فى ارتباك كمسيرة خابطى الليل
البهيم ،
أطفئت أنوارهم فى غابة مشبوهة * السمت ودهماء * الأديم
هكذا رقدت ذهولا وارتباكاً فى سكون الليل يكسوها الظلام
حيث فقدت الاكتشاف * الحلو لطريق السلام

١٣٩ ثم ها هى ذى تصك فؤادها صكاً يئن له الفؤاد
بأنين يزعج الجيران فى التجويف من بين الحنايا أو يكاد
فتداعت ، .. كررت رنّات ذياك الأنين
إن وجداً * فوق وجد ضاعفت تعميق أغوار الحنين
وهى تصرخ « : ويح نفسى ! ثم عشرينا من المرات :
ويلى ! ثم ويلى !
إن عشريناً من الأصداء قد رددن بالعشرين ويلى ..!

١٤٠ فاذا هى لاحظتها أنشأت تنشد لحناً فاجعاً ،
وارتجالا شرعت تصرخ شعراً موجعا ،
كم يحيل الحب شبان الرجال عبيد قنّ [1] والشيوخ مُفَنَّدينا ، !

(١) قن ، القن ، العبد الذى كان أبوه مملوكا لمواليه .

كـم يكون الحب فى الحمق حكيما فى حماقته وأحمق فى
فى الدنيا آنا فآنا
مع هذا لم يزل ترتيلها المحزون يُخْتم بالعويل ،...
دون ريب مستجاوب جوقة[1] الأصداء فى نفس السبيـل

١٤١ لحنها كان مُملاً طال حتى استغرق الليل ضِرارا ،
إن ساعات المحبين طوالٌ لو بدت - حتى - قصارا ،
فلئن أنسوا بأنفسهم سرورا ، زاعمين من عداهم فى ابتهاج ،
فاكهين بمثل ما هـم فيه من حال [2] وفى لعب كلعبهم يكلّله اندمـاج
والحكايات الطـوال المسهبات - يبـدأون بسردها عشرين مرة ،
تنتهى دوماً بلا نظّارة ، بل لا تتم بأى حال وهى ثره * [3]

١٤٢ أين من تقضى دجى الليل معه ؟
غير أصوات كُسالى كالطفيليات أو كالإمعة ،
كالسقاة ذوى الجهارة فى الحناجر إذ يلبوّن النداء ،
وبذا يرضون أمزجة ذوى النزوات من أهل الذكاء
فإذا هتفت تقول : هو ذا .. هتفت الأصداء جمعا (هو ذا .. !)

(١) الجوقة ، هى : ما يسمى فى المسرح والموسيقى بالكورس .
(٢) حال من الإفاضة فى الأمور والأوصاف المفصلة .
(٣) ثرة : غزيرة .

هن فى أهبة الاستعداد أن يتبعنها إن هتفت تنطق : « لا .. »

١٤٣ ويك : فانظر ! هـذه القُبَّرة الحلوة أضجرها الجمام والرقاد ،
برزت من خدرها الخضل الندىّ إلى السما ذات العماد ،
وهى توقظه : الصباح « حيث من فضىّ صدره
تشرق الشمس كملك طالع بجلال قدر ،
وهى ترنو نحو عالمنا بأمجاد الجلال
حيث تضفى ذهبها من عسجد كلل هامات الصنوبر والتلال
«.

١٤٤ وتحييها فينوسٌ وذلك الصبحُ الوضىء ،
إيه يا ربة شفاف الصفاء ، إيه راعية الضياء !
من سناها كل مصباح ونجم يتلألأ - يستعير
ذلك الأثر الجمالى الذى يجعله لمّاعا يُنير
ها هنا يسكن ابن أرضعته « لبان أم دنيويه
وهو يقدر أن يعيرك من ضياه قدر ما تضفين فى بسالى
البصرية

١٤٥ عند هذا القول هُرعت تبتغى بستان آسنْ «
قد جرى فى خلدها أن النهار علا وقارب الانتكاس ،
كل هذا وهى لم تتلقَّ خبرا عن حبيب القلب من أى طريق

فهي ترهف مسمعيها تبتغي صوتا لكلب أو لبُوق
ثم تَطرقُ سمعها أصواتهم للفور آذ تزأط [1] في لجب* عنيف
فتُغِذُّ السير* في عَجل ميممة إلى الصوت المخيف .

١٤٦ وهي تعدو ، ثم تعدو ، وشجيرات شجيرات قصار في الطريق
بعضها يمسكنها من عنقها ، والبعض قد قبلن وجها* كالشقيق [2]
بعضها ، يلتف حول الساق ليعوق المسير
وهي تفلت في جموح من عناقهم المضيِّق والخطير
مثل أُرويةٍ [3] لبون ضرعها بالخير منتفخ ويؤذيها ويكوي ،
وهي تسرع كي تغذِّي* خشفها [4] الجائع في أجم من الأجام يثوي

١٤٧ عند ذا سمعت كلاب الصيد في حال انتصاب ودفاع وتوقف
وهو أمر أجفلت منه كمن شاهد أفعى حين تزحف
تتحوى في حوايا قاتلات وهي تعترض طريقه ،
خوفُه منها سيملأ قلبه رعبا ويرعده فيغتصُّ بريقه [5]
مع هذا فكلاب الصيد مذ نبحت بذعر وارتياع
أفزعت منها المدارك ، أودعت في روحها كل ارتباك والتياع [6]

(١) الزأط : ارتفاع الصوت .
(٢) شقيق : شقائق النعمان – نبات أحمر الزهر .
(٣) اروية : نوع من الظباء.
(٤) خشف : ولد الغزال – الظباء
(٥) اغتص : مطاوع أغص . اى وقف ريقه في حلقه رعباً .
(٦) التياع : لوعة .

١٤٨ فهى تعلم آنفا أن الطريدة لم تكن قنصا رقيقا لا يخيف ،
إذ هى العفر البليد أو هى الذئب المصاول أو هى الأسد
المبهنسة ، العيوف [1]
إذ يظل الصوت مصدره مكان واحدٌ بين الغياض :
حيث فى وجل تصيح به الكلاب صياح خوف وامتعاض :
عندما ألفَوْا عدوهم لعينا عارما
دلفوا ، من خلف آداب السلوك تقاعسا ،.. من منهم
سيكون أول من يصول مهاجما !!

١٤٩ إن هذى الصيحة القتماء ، تخرق مسمعيها بالشجون ،
حيث تدخل كي تفاجئ قلبها الوافى الأمين ،
الذى إذ يعتريه الشك والخوف المؤدى للشحوب ،
فى ثلوج الضعف يهوى شاحبا ، كل حس [2] ، فيه خدّره
اللغـوب [3]
شأن جند عندما يذعن قائدهم لخَصم ذات مرة ،
إذ يفرون هوانا بالمذلة ، لا يطيقون منازلة وكرّة.

١٥٠ هكذا وقفت هنالك فى انفعال مرتعش ،
وهى تنعش أو تشجع روحها وحواسها والقلب بالفـزع انكمش
وهـى تخبرهن أن الأمر وهم باطـل خُـرم الأمبار ،

---

(١) المبهنسة (بكسر النون) : المختال.
(٢) حس : كل حواسه وأعضاء حسه.
(٣) اللغوب : الإرهاق والتعب.

إن ذا خوف مخيف، بالطفولة قد يقاس ،
وهي تأمرها بأن كُفّي ارتجافا ، هي تأمرها بأن توقف
خوفا لن يفيدا :
وبهذا القول لمحت عينُها العفر المصيدا ،

١٥١ وإذا شفتاه – مزبدتين – صُبغتا بحمرة ،
فكأن دماً ولبناً خلطا عن غير فكرة
فسرى في كل جارحة *[١] لها خوفٌ جديد ،
بجنون دفعها لم تدر في أينَ ولا كيف تحيد .
فهي تجري الآن في هذا الطريق ، .. ثم تعدلُ فتكفُّ ، ..
ثم ترجع كي توجه أفحش التقريع للقتل إلى العفر الصلف

١٥٢ إن ألفا من رهيب الخوف تحملُها إلى ألف طريق ،
فهي تخترقُ ممرا لن تعود إليه ثانية ، فأيان تفيق؟
مفرط العجلة منها ، أحبط التسويق قَصده
مثل حركات دماغ قد أضاع السُّكرُ رشده
فهو ممتلئٌ بأدب واحترام ،وهو بالتحقيق لا يحترمُ أحدا ... !
يده في كل شيءٌ دسَّها ، ... وهو بالتحقيق لن يثمر جهدا ...!

(١) جارحة : الأعضاء أو الأعصاب .

١٥٣ وهناك أمامها أحدُ الكلاب رأته محبسا بأُجَمَه ،
أقبلت تسأل ذا التعس الكليل نبأ سيده بهمّه ،
وهنا بصُرتْ بآخر يلعق الجُرحَ الأليم
يبتغي بُرء القــروح مُسممات ،.. وهو ترياقٌ وحيدٌ ناجعٌ
منذ القديم
وهنا تشهدُ آخر بادى الحزن ووجلان مقطّب
فتُحادثهُ بإمعان يُجيبُ عليه بعواء المعذّب .

١٥٤ فإذا أوقف مشؤومَ ضجيجهُ ،
جاء آخرُ نادباً ، جهمُ المحيَّا ، أشدق [1] الفم وعَجيجهِ ،
مرسلا نحو السماوات رشاشا عاليا من نبحاته ،
ثم آخرُ ،ثم آخر ، يعججون لداوى صرخاته
وهى تمضى أثفرت [2] بشوامخ الأذناب للأرض بذلّه
هدت الآذانَ دامية بما خُلشت ، بلا أدنى تجاه

١٥٥ وتأملْ .. كيف يذهل أهل دنيانا المساكين ضعاف السطوات
عند مرأى الرّئى [3] والأشباح والآيات بلّهَ المعجزات
التى يا طالما نظروا إليها بعيون خائفات ،
يخلطون بها رهيب تنبؤات ،

---

(١) أشدق : من صفات كلاب الصيد – سعة الفم .
(٢) أثفرت : أى تدلت أذنابها الشامخة العالية إشارة إلى الهزيمة .
(٣) الرئى : الجن يعرض للانسان .

تلك آياتُ رأت بإزائها أن تأخذ النَّفس العميق : ـ
ثم إذ تزفر، ثانيةً تصرخُ فى الموت يضيق :

١٥٦ « أيها الطاغية الجهم الدميم ، الأعجف الضاوى النحيف !...
أيها الموت المفرق للأحبة !... » هكذا وبخت
الموت بما قارف من ضُر مخيف
« أيها الشبح المحيف المضحك ! .. دود الأرض ، . .
ما تحنيه من
خنقك الحُسْنَ وسرقة ما به من نفَس عز على كل ثمن ؟
وهو من إذ كان حيا كانت الأنفاس منه ورائع الحسن الطرير
تدنيج الورد بهاءه ، .. والبنفسج عطره الزاكى النضير ! .

١٥٧ « هل ترى قد مات ؟ كلا ... ذاك شئ لا يكون ،
ـ « مذ نظرتَ جماله ما كان يجدر أن تُفَوّق أى سهم للمنون :ـ
بل نَعَمْ ، .. بل ربما .. ! إذ أنت لا تملك عيْنا تبصرُ ،
بل بحقد ، بيد البغضاء تضرب ضربة العشواء لا تبصر
إن مرماك هو الشيخ ، هو السن الضعيفة
بيد أن السهم يَخطئ منك ، .. يُصمى مهجة الطفل
الرهيفة !.. »

١٥٨ « لو أهبت به : « أن احذر » ، .. كيف لم يتكلَّمْ ، ..

ولو سمعتَ مقاله،.. لأضاع حولَكَ[1] حوله ظالما ولم يتأثم
سوف تلعنك المقادير بما سددتَ هذى الضربة ،
فهى ناطت بك أعشابا تُقَلِعها ،.. فأبَتَ بزهرة [2]
إن سهم الحب من ذهب لأوشكَ - أو لوجب - أن يصيبه
لا سهام الآبنوس السود للموت التى أرْدَتْهُ إذ كانت
نصيبه !

١٥٩ « هل شرابكَ من دموع ، كى تثير بأعينى هذا البكاء ؟
ما يعود عليك من جدوى بزفرى أنّة حرّى تبطنت الشقاء
لمْ سبكت اليوم فى نوم الخلود
تلكُم الأعين ، .. من علّمْن ألحاظ الورى كيف ترى ما فى
الوجود ؟
لمْ تعد هذى الطبيعة بعد لتبالى بعاصف * قوتك
منذ دمّرْت لها أبدع ما صنعت بنصل سخيمتك » [3]

١٦٠ وهنا انهارت كمن قد غاص فى يأس عميق ،
أسبلت أجفانها منعت كفتحات على سدٍ رشيق
ذلك الفيض المبلّر مارقا يأبى بصفحة ذلك الخد الأسيل
وسط مجرى صدرها الفاتن - إلّا أن يسيل

(١) الحول : القوة - لم يتأثم : لم يشعر بأنه اثم .
(٢) أى انك بدلا من أن تنزع العشب كما كلفت ، اقتطفت زهرة .
(٣) سخيمتك : أى حقدك .

لكن انظر من خلال رتائج [1] الفيضان سالت عذوة
ديم [2] اللجين
وبمجراها [3] القوى تعد فتح رتاجها * للصفتين

١٦١ آه ! ... كيف دموعها والعين قد راحت تحير وتستحير ! ..
وإذا العينان في الأدمع قد بدتا ،.. وبان الدمع فى العين قرير ،
ها هما بللورتان * تشاهدان على التبادل ما لكل من شجن
وهى أشجـان أرادت أخلص الزفرات منها أن تجف بلا وهن
رغم هذا شأن يوم عاصف ما بين ريح ومطر ،
كانت الزفرات تُنشف خدَّها فيبلُّ من فور بدمع منهمر .

١٦٢ زُحمت فى ويلها الدائم ألوانُ العواطف والمشاعر ،
تتبارى أيها يغدو لها الشحن الموارى كل آخر ،
بين تسلية ولهو ، حيث تسعى كل عاطفة - مكينة
أن تبوِّئ كل حزن عارض أعلى مكانه
لكن اذ لم يكُ فيها أفضل :.. اجتمعت عليها لاثريم * ،
كالسحائب قد تَجَمَّعْنَ كثيرات تدبر خطة الجو الجهيم

١٦٣ عند ذلك من بعيد سَمعتْ صوتا لصياد تفوَّه بالتحيَّة
أين من ذلك ترنيمةُ مُرضعة لطفلتها الصبية ؟

(١) الرتائج : أبواب السدود .
(٢) ديم اللجين : سحائب الدموع الفضية
(٣) بمجراها ، مصدر ميمى بمعنى الجريان .

إن أول وهمها الجهم الذى قد تَابَعَتْهُ واجمة
جَدَّ هذا الصوت صوت الأمل يطرده لتحيا ناعمة
ذاك أن الجذل المبعوث حيا راح يدعو رُوحها أن تمرحا ،
إذ يخادعها بأن الصوت لأدونى ضحوكا مازحا .

١٦٤ عند ذا طفقت دموع العين تنحسر،.. تغيرمدها الهاى[1] الثجوج
حيث حُبست فى محاجرها لآلئ من زجاج ،
مع هـذا ربما يحدث أحيانا بأن جمانة درية منها بجانبها تقع ،
فيذيب الخد دُرّتها ، إذا مرت مرور زراية ، وقد امتقع
حيث تغسل وجه أرض فى الدّناسة معرقة ،
وهى ليست غير مسكرى ، بينما تبدو لعينك محرقة ،

١٦٥ أيها الحب المُنَوط « بآفة » « الشك » لكم يبدو عجيبا
أن تأبىّ أن تصدق ثم تقعُ فى حبائل سرعة التصديق ، لا تخشى مريبا
ان ويلكَ والسرور كلاهما متطرفُ
أنت بين اليأس و الآمال مَضْحكَةٌ لمن لا يرأف
إن أحدهما يداهن عقلك المضْنَى بأفكار محالة
ثم فى المُمكن منها ينبرى الآخر يرديك « سريعاً » لا محالة

(١) الهامى الثجوج : الغزير المنهمر .

١٦٦ ها هي الآن تعود لنقض ما غَزَلتْ يداها
إن أدونيس يعيش وما لها بالموت تشريب ،.. بديها ،
لم تكن هي بالتي نعتته « بالمرذول .. » ذي الصفة المشينة !.. »
ثم ها هي ذي تحوك الغار إكليلا الكنيته المبغضة المهينة ،
وهي تدعوه بيا ملك المقابر « يا مُقابرُ كل مَلْك
والأمير السيد « الغطريف[1] للفانين بين فكاك هُلْكِ

١٦٧ صاحت الحسناء : « لا !.. لا !.. أيها الموت الجميل فلست
إلا مازحه ،
ألف معذرة فإني كنت خائفة قليلا ، .. لم أكن بالقادحه »
عندما قابلت ذاك العفر ذاك الكاسر الدموي طبعا
الذي لا يعرف الشفقة والرفق ويمعن في العرام ، يسيء صنعا
لست أنكر أيها الظل « الرقيق أنني ما عدت أدري ما جرى لي
قد حملت عليك حقا ،.. كنت أخشى موت حِبي[2] موت
تمثال الجمال »

١٦٨ « لم يكن ذلك خطأى !... هيج العفر لسانى
فانتقم منه وشيكاً ... أيها الأمارةُ « المستور عن كل عيان ،
إنه الشرير حيث رماك قصدا بالإساءة ،

(١) الغطريف : السيد الكريم .
(٢) حِبى ، الحب بكسر الحاء هو الحبيب .

لم أكن إلا الممثلَ ، بينما كان المؤلّفَ للبذاءة ،
أوتِى الحزنُ لسانين ، ولم تقدر إلى الآن امرأة
أن تسوسهما بغير ذكاء عشر كلهن الهادئة ،

١٦٩ هكذا إذ تتمنى كون آدونيس حيا والجوارح سالمةً ،
أقبلت فورا تلطّف وقع ريبتها الجموح العارمة ،
وتمنت لو يظل جَمَالُه ملء الملاحظ رابيا ،
فاستدارت تدهن الموت ، تداجيه ليبقى حانيا ،
وهى تنبئه بانبساء الغنائم والتماثيل وأحداث وقصص ماضيات
وانتصارات وأمجاد له بين البنود الخافقات

١٧٠ ثم صاحت « أوه يا رباه ! كم كنت سخيفة !..
إذ حويت مثل هذا الحمق والفطَن الضعيفة
إذ أنوح مَمَات من يحيا ، ومن هُو ينبغى ألاّ يموت..
أو [1] يُغيَّبَ فى ثراها كل فان كانت الأرض تقوت «
إنه لو مات ذُبح الحسن معه والجمالُ
فإذا ولى الجمالُ عادت الفوضى الكئيبة والخبالُ. »

١٧١ « ويلك ! .. تباً !.. أيها « الحب » المحمق كيف تغمر بالمخاوف أو تغوص ! ؟

(١) او : بمعنى حتى .

كالمسافر سار بالكنز الثمين تنوشُه زُمَر اللصوص ،

إذ يبدد جهده من غير أن يأتيه برهان لعين أو أذن ؟

قلبك الرعديد بالفكر المزيف في شجن ،

فهي حتى عند هذا اللفظ تسمع صوت بوق ضاحكا ومدويا ،

فهي تقفــز منه فرحا ، وهي منذ هنيهة تلك التـي حملت

فؤاداً خاويا ، (١)

١٧٢ كانطلاق الصقــر تلبية لمرأى ريش ، سيدة استطيرت (٢)

ورءوس العشب لا تحنى ، ولا من خفة الوطء بقدميها أضيرت

لكن العينان قــد شهدت لسوء الحظ في أثناء عجلتها أليما

اعتداء العفر عدوانا على تمثال بهجتها فظيعاً وجسيما ،

منظر ما شهدته عيونها حتى تهاوت كالذبيح

كالنجوم الزهر (٣) أخجلها ضياء الصبح فانسحبت تريح

١٧٣ أو كقوقعة تأذّى قرنها الغض الرقيق ،

فانثنت ألماً ، ولاذت في محار صيغ كالكهف العميق ،

حيث تقبع في اختناق مطلق بين الظلال وتشرع

بعد أن طالت مخافتها ، لزحف من جديد تزمع

فكذلك مقلتاها فرقا من هول مشهده الرهيب

(١) فؤادا خاويا : أي مليئا بالمخاوف .

(٢) استطيرت : استطيرت فينوس طارت فوق الأعشاب فلم تحن رءوسها لخفة وطئها عليها .

(٣) النجوم الزهر : في ذلك إشارة إلى انحراف سواد العينين وظهور بياضها أثناء الإغماء .

غابتا[1] فى حندس الأعماق من كهفين بالرأس الكئيب *

١٧٤ حيث سلمتا جهودهما وما تليان من عمل ونور
رهن قبضة الاضطراب بعقلها اللغب المثار
الذى يأمرهما أن يلزما دوما ذرا[2] الليل القبيح
لا تعود ان لجرح القلب بالنظرات ثانية ، إذ القلب جريح
مثل ملك قد أصيب بالارتباك بعرشه يتلهف ،
باقتراحهما يعالج أنة حرى تكاد لها الجوارح تتلف

١٧٥ وهو أمر راح منه كل قيل[3] تابع يتزلزل ؛
مثلما يحدث للريح الحبيسة * فى بطون الأرض إذ تتقلقل
ترتجى المخرج ، فتهز الأساس لأرضنا بحرا وبرًا .
وبثلج الرعب تبعث الارتباك بعقل كل الناس طرًا
كان ذ ك تمردًا وقعت له الأرجاء فى أعظم دهشة
فانبرت تثبان عيناها من الأعماق والظلمات للجفن الذى
عـاود رمشه ،

١٧٦ فاذا انفشحت فألقته بغير ارادة منه ضياء راغما
فوق جرح غائر قد حفره العفر غشوما ظالما
فى حواشى كشحه الغض الذى مألوف زُهرته (٤) بلون الياسمين

(١) غابتا : إشارة إلى انحراف العينين من الحول .
(٢) الذرا : (بفتح الذال) : الملجأ .
(٣) قيل : أمير أو ملك تابع لذلك الملك .
(٤) الزهرة : شدة البياض المألوفة فيه

قد تندت [1] بدموع أرجوان ،.. نشجهـا الجرح الحزين
قضى الأمر فما من زهرة دانية أو عشبة أو ورقة أو قل نجيل
لاترى إلا وقد سرقت دماه ـ فبدت تنزف معه وتسيل .

١٧٧ أدركت مسكينة فيدوس فى ألم تعاطفهن موفور الجلال
فوق إحدى كتفيها ، دلت الرأس بلا أدنى مقال
وهى تأسى فى سكوت ،.. تندله فى جنون
فهى تزعم أنه ليس يموت ، لم تصبه يد المنون :
وهنا يحبس [2] منها الصوت ،.. والأوصال * تنسى الانحناء
إن عينيها أصابهما الجنون حيث حتى الآن قد دأبت على
هـذا البكـاء .

١٧٨ نظرت فى جرحه ، نظرات فحص ثابتات ،
دمن حتى سدر * [3] اللحظ فجعل الجرح يتبدى ثلاثا كاملات
ثم تنحى بالملام على اللحاظ الخالطات * الحائدة
التى تخلق ثغرات كثار ، بينما لا ينبغى منهن حتى واحدة
ويلك !... يبدو وجهه فى سحنتين ، كل عضو من كثير
عضاته [4] هو فى ازدواج ، ...
إذ كثيرا ما يفوت عيوننا وجه الصواب ، عندما يختلط
العقل ويضطرب المزاج

(١) شبه الدم السائل من الجرح بالدموع الأرجوانية .
(٢) اى يشل جسمها من كل صوت وحركة .
(٣) سدر : سدرت العين إذا تعبت من إدامة النظر .
(٤) عضاته ، جمع عضو .

١٧٩ ثم قالت : « ولسانى ليس يقدر أن يعبر لوعتى من أجل واحد
مع هذا تَشهدُ العين أدونيسين صرعى فى المراقد !!
إن زفراتى مع الريح تطير ، ... أدمعى المالحة ولت ضائعات
إن عينى تحولتا لنار ،.. إن قلبى أصبح الآن رصاصا كالموات
والرصاص بقلبى المثقل راح تذيبهُ نيران عينى الحامية !
وكذلك سوف أقضى النحب بالقطرات « أضحية لما ألقاه
من رغبة جسمى الكاوية »

١٨٠ « آه ! . . أسفا !.. أيها العالم يا مسكين أسفا ! أى كنز
قد فقدت مؤخرا ! ؟
أى وجه ظل حتى الآن حيا .. يستحق النظرا
والموسيقى الآن ، ... ما شىء غدت فيه لسانا ؟
أى شىء تستطيع لأجله أن تفخرا ؟
بين أجمع ما أقلته الدنى للآن أو ما سوف يأتى ويُرى !؟
كيف هذا الزهر يبدى حسنه !.. لونه زاه بهيج ناضرُ !؟
إنما الحسن البديع الحق : معه عاش ،.. معه مات ،
لا يتأخرُ . »

١٨١ « لا قلانسُ ،.. لا لثامُ ،.. منذ هذا اليوم لن يُريا على رأسى
إلى أبد الزمان !
ثم لا الشمس ولا الريح محاولتين تقبيلا لخدك بامتنان
لم يعد يحوى جمالا يُفقد.. ما الذى تخشاه أو ماذا تخاف ؟

إن هذى الشمس تسخر منك والأرياح قد فَحتَ * عليك
في اعتساف * (١)

لكن اعجب !.. عندما كان أدونيسُ يعيش كانت الشمس
مع الريح المثلج في خَبَاله * (٢)

تتسلل في خفاء كاللصوص ، تبتغى السطوعلى باهى جماله »

١٨٢ « عند ذلك يرتدى هذى القَلَنسة * فوق رأسهْ ،
تحت حافتها تطل الشمس في ألق وبهرجة (٣) لمسّهْ
فتُطير الريح كَمتّه (٤) ،.. فان ذهبت بعيدا ،
عبثت بالخصل الفرعاء (٥) ،.. يبكيها أدونيسُ أكيــدا
عند ذلك يرثيان – معاجلين – لعمره الغض النضير ،
فهما يسّابقان كلاهما مَنْ منهما سيكون أول من يجففْ
دمعه الخضل الغزير »

١٨٣ « عند مرأى وجهه يمشى الغضنفرُ في استتار
من وراء سياج حقل ، حيث يعلم أن خوفا لن يداخل ذلك
البطل المزير
كي يسلّى النفس ، إذ يرسل بالصوت غناءه

(١) اعتساف : الظلم .
(٢) خباله : فساد عقله .
(٣) بهرجة : زينة بادية .
(٤) كمته : قلنسوته .
(٥) الفرعاء : هى خصل الشعر الطويلة الغزيرة .

يصبح النمر الهصور [1] مؤنَّساً حاو استماع في براءة
إن تكلم ، يترك الذئب فريسته متىٌ يسمعْ كلامه
ثم لا يُرهبُ ذاك اليوم من حمل سخيف بقُلامَه* [2] »

١٨٤ « كلما شُهِدَ الخيال المرتشي منه على وجه الغَدير
كانت الأسماك تنشر فوقه خيشومها ألقاً من الذهب النضار ،
ومتى اقترب تداعى الطير طرباً بالسرور ،
منه ما غنيٌ ومنه باذل * . من طرف منقار صغير
ثمرات التوت والكرزات حمرا ناضجة
كان يغذوها بمرآة الجميل ، وهي تغذوه على الثمرات* [3]
مزاً طازجة »

١٨٥ « بيد أن العفر ذاك القنفذيّ الفم ، والجهم البغيض ،
الذي تنظر عيناه لأسفل ، باحثاً في الأرض عن قبر عريض
لم يشاهد قط بزة حسن طلعته التي هو مرتدي !
لم يمتع قط بالنعم التي قد ، عبّ [4] منها كل راءٍ مُسعَد ،
ثم هو لو أنه شهدَ المحيا إنني لعلى يقين
أنه فكر في تقبيله ، فرماه عن قوس المنون .

(١) المؤنس : المهذب المروض .
(٢) بقلامه : ادنى قدر من الأذى .
(٣) مزا : لذيذة
(٤) عب : شرب بوفرة .

١٨٦ وحُقّ فعلاً !.. حُقّ فعلاً ! .. أن ذا قد كان أدونيس مُرْدِى :
بسنان الحرية المشحوذ شحذا هاجم الخنزير (١) قصدا
الذى لم يشحَذ الأسنان فيه من جديد ،
بل أراد بقبلة إقناعه بالمكث والصلح هناك ولا مزيد ،
فإذا ما دس أنفيه إلى كشحيْه ذا العفر المحبُّ
أغمدَ النابَ بلا قصد بخاصرة لها الأعين تصبو »

١٨٧ « إننى لو كان لى بالمثل أسنانٌ كأسنانه .. إنّى لست أنكرْ
أنه لو أننى قبلته ، قد كنت قبل اللثم أعقِرْ ،
ذاك لولا أنه بالفعل قد مات ، .. ما بارك ما بى
من شباب بحوالى* قبلاته ، ... اتمادت نقمتى زاد عذابى!! »
عند ذاك هوت بنفس مكانها فعل المهيض الخائر
فتلطّخ وجهها من دمه القانى النجيع « الخاثر .

١٨٨ نظرت فى شفتيه ، ها هما شاحبتان
أمسكت فورا يديه ، . . . . فاذا باردتان
همست فى أذنَيه قصةً حرى ثقيلة ،
وكأن تستمعَ الأذنان مانطقته من كلم مفجعة كليله
رفعت أبواب صندوق كنوز سترت حدقات عينيه الجميله

(١) الخنزير هو العفر الذى يقتل أدونيس

حيث واأسفا ! ... سراجان قد انطفآ وحلّت فيهما
سدف *(1) ثقيلة.

189 تلك مرآتان ، وهى بنفسها شهدت كثيرا نفسها إذ فيهما
نظرت مليا (2)
ألف مرات ، وثم الآن لا تعكس شيئًا ،
حيث قد فقدت مزاياها وسائر فتنة فاقت بها أثناء عمره .
ثم جرد كلُّ حسن فيه من تأثير سحره
ثم صاحت « إيه أعجوبة دهرى .. هذه هى شقوتى ؛
أن تموت الآن ، ويظل النهار منوراً ، تركته كفُّ الظلمة . »

190 « إنما الآن وقد غالتك أسياف المنية .... إننى أتكهّنُ ،
بالأسى « للحب » ، إذ أن الأسى للحب منذ الان يلزمه
ولا يتحنن
ستكون الغيرة النكراء ، خادمَهُ وتتبعه كظلّه ،
وهو مُر فى النهاية إن يكن مستعذبا أو سائغا فى مستهله
لن يسوّى الأمر فيه – جلّ أو هان – على ميزان عدل منصف ،
كلّ متعات النعيم فى الهوى ، . . لن تضاهى ما حواه من
عذاب متلف . »

---

(1) سدف ، بضم السين : الظلمات .
(2) مليا ، أى : طويلا .

١٩١ «إنه سيكون حقا زائفا متقلبا ، يطوى الضلوع على الخداع
تمحق الغلات فيه مع البراعم وشك يرق في التماع
سيكون القاع مسموما ، وسطح الكأس مكسوا طليًا
بحلاوات تخادع أنفذ الأنظار رأيا *
وأشد الناس أيدا [1] سوف يجعله ضعيفا واهنا بين الأنام
يخرس العاقل بكما ، .. ويُعلم أحمقاً فن الكلام »

١٩٢ «إنه سيكون مقتصدا شحيحا ثم متلافا يبذّر في جنون
إنه ليعلم السن [2] الكسيحةَ كيف تخترق الحدود وكيف
تقتحم الحصون ؛
الصفيقُ أخو الشكاسة سوف يُلزمه السكينه ،
سوف يخسفُ بالغنيِّ وسوف يحبو الفقر بالدّرر الثمينه ،
سوف يصبِح ثائرا من جِنّة [3] أو أحمقاً سلسا وديعا
سيؤول به الصغير إلى كبير ، — وسيغدو الشيخ في أفيائه
طفلا رضيعا . »

١٩٣ «سوف يرتاب ! .. وليس هناك من سبب يسوغ أن يخاف
وأن يهابا ،
لن تداخله المخافة بينما تستوجب الأوضاع خوفا وارتيابا

(١) الأيد : القوة .
(٢) السن الكسيحة : الذين علت بهم السن فأقعدتهم عن الحركة .
(٣) الجنة ، بكسر الجيم ، هي : الجنون .

سيفيض القلب منه رحمةً ، أو قد يُقدُّ من الحجارة قسوةً
لا تَرِفُّ ،
أو يصاغ من الخداع الصرف ،إذ يبدو بثوب عدالة يتألقُ ،
ستراه ذا اعوجاج وضلال ، .. وهو يتجلى أمام الناس فى
أقوم صورة ؛
ويبث الخوف فى الإقدام، والإقدام فى المهج المجبنة الحقيره . »

١٩٤ « إنه سيكون سببا فى الحروب مرد أحداث أليمة
سوف يبذر بين الابن وأبيه بذرة الخُلف جسيمة ..
خاضعا بمذلة لجميع أنواع التذمر فى النفوس ؛
كهشيم جف حتى دان للنار الضَّروس :
وكما أودت يد الموت – بعمر الزهر ظلما – بحبيبى
كل من أخلص فى الحبِّ فلن ينعم فيه بنصيب . »

١٩٥ عند ذا كان الصبيُّ المرتمى غدرا بجانبها صريعا
قد تسامى كالبخار ، .. ومضى قُدام عينيها سريعا ،
ثم فى دمه الزكى وقد جرى فى الأرض مسفوكا يسيل ،
نبتت فورا بلون الأرجوان زهيرةٌ وشَّى البياض جمالها الغض
النبيـل ؛

تشبهان شحوب خديه ومسفوك الدماء
إذ ترقرقن ، عقيقا فى دوائر ، فوق وجنات وضاء !

١٩٦ وهى تحنى رأسها كيما تشمَّ الزهرةَ البكر الجديدة .
كى تقيسَ بعطرها أنفاسَ أدونيس الفقيدةْ
إذ تقولُ لنفسها : إن الزهيرةَ سوف تبقى فى حنايا الصدر
منها سرمديا ،
ما دام أدْنى نَفَسه قد غاله الموتُ وغيَّبه مليا ،
وهى تهصرُ ساقها ،.. فبدا لها فى الموقع
سائلٌ خَضِرٌ تقطَّر شبَّهته بمثل سيل الأدمُع .

١٩٧ ثم قالت : «زهرتى المسكينةَ الحسناء تلك بُرودُ[1] والدك
موشاة نضارا[2]
أيها النسلُ الجميل لوالد أزكى عبيرا ،
كل أحزان صغار إن تبدَّل بالمدامع مقلتيه .
كان يرغب مخلصا لترعرعت فى شخصه رُبِّيت لديه
ولذلك فهى لك : لكن اعلم أنه يعدل ذاك فى الخير العميم
أنها تذبل فى صدرى كما تذبل فى دمه الصميم .»

١٩٨ «ها هنا كان فراشُ أبيك عندى ، ها هنا فى داخـــل
الصدر يقيم
أنت أدنى الناس مقربةً إليه ولك الحق بل الحق القويم

(١) برود : أثواب .
(٢) النضار : الذهب .

ها خوليه فى حمى المهد[1] المجوف كل قسطك من جمام * [2]
إن قلبى حين ينبض سيهزك فى نهار أو مدى جُنح الظلام
لن تكون هناك ثانيةٌ بساعه
لا أقبلُ فى ثناياها زهيرةَ حبىَّ الحسناء فى غير قناعه[3]

199 وهنا * تعباً من الدنيا – مضت فورا تعجل بالرحيل
وهى تَقرنُ من يمامات * لجين ، من يساعدنَ على الإسراع
فى السفر الطويل
أركبت مولاتها فى عبر أجواز السماء
وهى لا تلوى على شىء ، بعَربتها الأخف من الضياء ،
ميممات شطر بافوس[4] بملكتهن حيث تريد فورا للأبد
أن تُوارى نفسهَا كى لا يراها بعدَ ذلك من أحد .

تم بحمد الله

(١) المهد المجوف : الصدر وقلبها .
(٢) جمام : راحة وهدوء .
(٣) فى غير قناعة ، المعنى : بغير حدود .
(٤) بافوس : مدينة بجزيرة قبرص كان بها معبد ضخم لفينوس .

هى القصيدة الشعرية التى بدأ بها شكسبير أعماله الأدبية ، هى وأختها «اغتصاب لوكريس» . وفيها أبرز الشاعر العظيم قدراته فى روعة الفن وسلاسة العبارة ، والغوص فى أعماق النفس البشرية واستجلاء مكنوناتها ، وفيها يجلى الشاعر الملهم إنجازاته وأسلوبياته الرائعة فى حوار حوى من الاستعارات والكنايات والتوريات والتلميحات ما يعجز دونه كل قلم ، إرهاصاً بما سيسيل به قلمه بعد ذلك من رائع الدراما فينوس شغفها أدونيس حباً ولكنه حب جسدى ، بادلها به إعراضا وتتصارع الرغبة مع السمو ، والجنس مع العفة . وعبثاً تحاول فينوس إيقاعه فى حبائلها بالإغراء والإقناع ، وإذكاء الشهوات . ولكن عبثاً ما تحاول إيذاء من يتحصن بالجد والعفاف لكن هيهات لها ذلك إزاء من يتحصن بالجد والاستعصام .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب